

﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

(خيركم من تعلم القرآن وعلمه)

حروف في قصة القرآن

تغريدات على موقع تويتر

أ. د. صالح علي أحمد الشمراني

أستاذ الفقه بجامعة أم القرى

مكة المكرمة

(@d_alshamrani)



تصميم الكتاب : أمين محمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ١ ﴾

هذه: "حروف في قصة القرآن" :

﴿ ٢ ﴾

للقرآن قصة عظيمة:

كيف بدأ؟

وكيف تُعلِّم؟

وكيف حُفظ؟

وكيف تكاثر أهله؟

﴿ ٣ ﴾

هي أحسن القصص، وأنّى لا تكون:

والقرآن بدأ من الله حروفه ومعانيه -فتكلم به-؟

وإليه يعود فيرفع من الصدور والمصاحف قبيل القيامة؟

﴿ ٤ ﴾

هل تدري البشرية كيف بدأ القرآن من الله؟

﴿ ٥ ﴾

يتكلم الله -جل في علاه- بما شاء من أحسن الحديث متى شاء .. فإذا تكلم سبحانه جَدّ في السماء أمر مَهِيب:

﴿ ٦ ﴾

إذا تكلم سبحانه اضطربت السماء، "وضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله جل وعلا، كالسلسلة على صفوان". البخاري.

﴿ ٧ ﴾

قال ﷺ:

"إذا تكلم سبحانه بالوحي سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون -أي يغشى عليهم- ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ، حتى إذا جاءهم جبريل فُزّع -أي زال الفزع- عن قلوبهم، فيقولون:

يا جبريل ماذا قال ربك؟

فيقول: الحق.

فيقولون: الحق ، الحق.

رواه أهل السنن.

﴿ ٨ ﴾

قال ابن كثير: هذا مقام رفيع في العظمة، وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي، فسمع أهل السماوات كلامه، أُرْعِدُوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي.

﴿ ٩ ﴾

أرأيتم ضعف عقول من يدعو القبور ويستغيث بأهلها من دون الله ....

فإذا كانت هذه هيبة الملائكة منه سبحانه وخشيتهم له وهم أقوى وأعظم مَن عُبد مِن دون الله، فكيف يدعوهم أحد من دونه أو يدعو غيرهم؟

انظروا في هذا تيسير العزيز الحميد...

﴿ ١٠ ﴾

نعود لبدايات القصة:

القرآن كلام الله، وهو سبحانه هو الذي نزّله:﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾.

﴿ ١١ ﴾

وهذا القرآن موجود في اللوح المحفوظ بحروفه ومعانيه، كما قال سبحانه:

﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ۝ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾.

﴿ ١٢ ﴾

وهو في المكان المصون عن أعين الناس، لا يلحقه غبار ولا أذى، قال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ۝ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ۝ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

﴿ ١٣ ﴾

والقرآن كلام من جملة كلامه سبحانه ، وكلامه صفة من صفاته ، فمن قال: مخلوق ، فهو كافر عند أهل السنة والجماعة.

﴿ ١٤ ﴾

قال الطحاوي -رحمه الله-:

القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولا، وأنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمّه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ﴾.

﴿ ١٥ ﴾

فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ﴾ علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر" انتهى.

﴿ ١٦ ﴾

وفي لمعة الموفق:

"ومن كلام الله سبحانه: القرآن العظيم ، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين، على قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلمات.

﴿ ١٧ ﴾

من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر، وأجزاء وأبعاض، متلو بالألسنة، محفوظ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.

﴿ ١٨ ﴾

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾. انتهى

﴿ ١٩ ﴾

هذه المرحلة الأولى من مراحل تعليم القرآن الخمس المتواترة الأولى:

- من الله تعالى إلى جبريل.
- من جبريل إلى محمد ﷺ .
- من النبي ﷺ إلى أصحابه.
- من الصحابة إلى بعضهم والتابعين.
- من التابعين إلى بعضهم وتابعي التابعين.

ثم استمرت الرحلة المباركة على ما سيأتي...

﴿ ٢٠ ﴾

وفي المرحلتين الرابعة والخامسة بدأت مدارس الإقراء تتشكل، وتتابع القراء العشرة وغيرهم، وتواتر نقله تواترا يزيد زيادة عظيمة من طبقة إلى طبقة، حتى وصلوا إلى مئات الألوف أو الملايين في زماننا.

﴿ ٢١ ﴾

ونزول القرآن نزولان: النزول الكلي:

جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا:

اقرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝﴾

واقرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝﴾

واقرأ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ۝﴾.

﴿ ٢٢ ﴾

والنزول الثاني هو المُنَجّم، المقسط على الأحداث، وقبل أن يبدأ حدث لرسول الله ﷺ شيء خارق لم يقع لأحد من المتقدمين ولا المتأخرين، لقد وقع له ما هيأ قلبه وصدره لهذا الكلام العظيم:

﴿ ٢٣ ﴾

التهيئة:

نزل جبريل عليه السلام أول البعث وشق صدره ﷺ شقا حقيقيا كان يُرى أثر المخيط فيه، وهذا الشق وقع ثلاثا:

- في طفولته، واستخرج منه علقه هي حظ الشيطان منه، وطهّره بزمزم في طست من ذهب.
- وعند أول البعثة قبل تلقي القرآن.
- وقبيل الإسراء، فكان الشقُ ثلاث مرات:

﴿ ٢٤ ﴾

وشُق صـدر أكـرم الأنـام ... وهو ابن عامين وسدس العام

وشُــق للـبعث وللإســراء ... أيضـاً كما قد جـاء في الأنباء

تهيأ بالأولين للوحي والنبوة، وبالثالث للعروج إلى سدرة المنتهى وسماع كلام الباري سبحانه مباشرة بلا واسطة .. فسبحان من خلقه وأكرمه وعظّمه وعلّمه.

﴿ ٢٥ ﴾

كان هذا الإعداد العظيم الذي لم يقع لأحد من الأولين والآخرين هو الذي دشّن لتعليم وتحفيظ القرآن... واستهل التعليم في مرحلته الثانية:

من أمين السماء عليه السلام إلى أمين الأرض ﷺ:

﴿ ٢٦ ﴾

أول حلقة وأول لقاء بين المُعلِم جبريل عليه السلام ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾.. والمُعَلَم محمد ﷺ كان في:

المكان: غار حراء

والزمان: الأولى من البعثة

والسورة: العلق

وأول كلمة: اقرا

والهيئة: هزه جبريل هزا وأخذ بحلقه، وقال: اقرأ.. كما في حديث عائشة في بدء الوحي الذي بدأ به البخاري في صحيحه.

﴿ ٢٧ ﴾

وكانت هذه سُنّة بين المعلم وتلميذه، أن يبدأ فيقول اقرأ ... وكانت بداية الرفعة والذكر:

وضمّ الإلهُ اسمَ النبيّ إلى إسمهِ .. إذا قالَ في الخَمْسِ المُؤذّنُ أشْهَدُ

وشـقّ لـهُ مـنِ اسمـهِ ليجـلهُ .. فذو العرشِ محمودٌ وهذا محمدُ

﴿ ٢٨ ﴾

كان المعلم جبريل ﷺ يحمل هذا الكلام العظيم الذي وعاه وحفظه وضبطه:

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾

ثم يصبه صبا، لا على أذن رسول الله ﷺ بل في قلبه وصدره ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ...﴾.

﴿ ٢٩ ﴾

كان الله تعالى يجمعه له في صدره جمعا ؛

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ قال المفسرون: أي: في صدرك ...

﴿ ٣٠ ﴾

جمعه الله تعالى لرسوله في صدره الشريف شيئا فشيئا...

﴿ ٣١ ﴾

كان ﷺ يشعر بحلاوة القرآن ولذته، كلما نطق جبريل بكلمة تمتم بها مع جبريل، يتلذذ قبل أن تكتمل الآية، وخشية أن ينسى، حتى قال له ربه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

﴿ ٣٢ ﴾

قال الشعبي: إِنّمَا كان يَعْجَلُ بِذِكْرِهِ إذا نزل عليه من حُبِّهِ له، وَحَلَاوَتِهِ فِي لسانه.

﴿ ٣٣ ﴾

هناك سبب آخر يشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾، وقوله: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾، فربما خشي أن ينسى هذا الكنز والهدى، فكان يعجل به.

﴿ ٣٤ ﴾

هذا النزول المنجم أُنزل شيئا فشيئا في ثلاث وعشرين سنة على الأحداث:

اقرأ: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾.

واقرأ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾.

واقرأ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾.

﴿ ٣٥ ﴾

كان نزوله منجما لمقاصد عظيمة، كان منها لي:

يصبره ﷺ ﴿فَاصْبِرْ﴾

ويسليه ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾

ويبشره ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾

ويعلمه ﴿أَقِمِ الصَّلَوٰةَ﴾

ويؤدبه ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ...﴾

ويتوب عليه ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ ...﴾

ويثبته ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾

ويرفعه ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾.

﴿ ٣٦ ﴾

إذا نزل جبريل يتلو عليه ﷺ القرآن كان يغطه غطا حتى تأخذه البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات، إلى أن يسرى عنه كما في الصحيحين عن عائشة.

قال ابن حجر: إنه -أي هذا التعرق الشديد- يشعر بوجود أمر طارئ زائد على الطباع البشرية.

﴿ ٣٧ ﴾

وقال القرطبي –رحمه الله-:

إنما كان أشد عليه لسماعه صوت الملك الذي هو غير معتاد، وربما كان شاهَدَ الملَك على صورته التي خُلق عليها... وكان يشتد عليه أيضاً؛ لأنه كان يريد أن يحفظه ويفهمه مع كونه صوتا متتابعا مزعجاً ، ولذلك كان يتغير لونه ، ويتفصد عرقه، ويعتريه مثل حال المحموم.

﴿ ٣٨ ﴾

ولولا أن الله تعالى قواه على ذلك، ومكّنه منه بقدرته: لما استطاع شيئا من ذلك، ولهلك عند مشافهة الملك؛ إذ ليس في قوى البشر المعتادة تحمل ذلك بوجه. انتهى

﴿ ٣٩ ﴾

كان أمرا عظيما ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

﴿ ٤٠ ﴾

ذكر ﷺ هذه الشدة لما سأله الحارث بن هشام رضي الله عنه كما في الصحيح فقال: كيف يأتيك الوحي؟ فقال ﷺ: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول".

﴿ ٤١ ﴾

ربما حضر بعض الصحابة لقاء أمين السماء عليه السلام برسول الله ﷺ فصوّروا لنا ما سمعوا ورأوا من العجب! انقل لكم بعض هذه الصور:

﴿ ٤٢ ﴾

وصف عمر رضي الله عنه الأمر بقوله:

"كان إذا نزل الوحي على رسول الله ﷺ سُمع عند وجهه كدوي النحل". الترمذي

﴿ ٤٣ ﴾

خذوا قلوبكم وأنتم تنظرون لهذه الصورة المبهرة التي يبثها زيد بن ثابت -رضي الله عنه- أحد الحفاظ القراء لفخذه ومكانها من فخذ رسول الله ﷺ؛ لعله كان يقرأ عليه حينها ... يقول زيد:

"أَنزَلَ الله على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي، فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سري عنه". البخاري

﴿ ٤٤ ﴾

مشاهد يود المرء أنه وتر في أهله وماله وأنه أدركها .. لربما فاجأه جبريل وأُنزِلَ عليه وهو ﷺ على بعيره حتى يكاد البعير يبرك ويضرب بجرانه الأرض كما في المسند.

﴿ ٤٥ ﴾

وعبادة بن الصامت نقل صورة رابعة كما في مسلم، فيقول: "كان نبي الله ﷺ إذا أُنزِلَ عليه كرُب لذلك، وترَبّدَ له وجهه". أي تغير كما لو غشيه الرماد.

﴿ ٤٦ ﴾

ولابن عباس-رضي الله عنهما- تعبير آخر عن حال النبي ﷺ وقتها بالصوت والصورة فيروي سعيد عنه قوله كما عند الشيخين:

"كان ﷺ يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه –

قال بن عباس:

فأنا أحركهما لكم كما كان ﷺ يحركهما، وقال سعيد:

أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه.

﴿ ٤٧ ﴾

قال: فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ قال: فاستمع له وأنصت: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه، فكان ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه.

﴿ ٤٨ ﴾

كان ﷺ يعبر عن مشيخة جبريل له وجلوسه معه وأخذه القراءات كلها عنه، فيقول: "أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف". متفق عليه .. ستأتي هذه الحروف ما هي.

﴿ ٤٩ ﴾

نطقه ﷺ بالقرآن وحي يوحى: بمخارجه، وتشديداته، وغننه، وإظهاره، وإخفائه، وإقلابه، وإشمامه، ومدوده، وترقيقه، وتفخيمه، وقلقلته، ووقوفه، وسكتاته...

كلها على الغاية في الجودة .. هذا الذي جعل جبير بن مطعم يكاد يفقد قلبه من بين جنبيه وهو يسمعه ﷺ يقرأ الطور وهو لا زال مشركا، يقول: كاد قلبي أن يطير.

- تعددت أماكن الدراسة المكية:

فتارة في غار حراء

وتارة في مسجد الكعبة

وتارة في أجياد

وتارة في بيت خديجة

- وكذا الدراسة المدنية:

تارة في قباء

وتارة

في مسجده ﷺ

وتارة في بيت عائشة

أو بيت أبويها

أو أحد

أو بدر

أو الحديبية

أو المريسيع

أو طريق تبوك

أو أطراف المدينة

أو على البعير

أو عرفة

﴿ ٥١ ﴾

وتارة يحدث ﷺ بالمكان الذي لقي جبريل عليه السلام فيه، ذكر هنا مكانا غريبا جهة قباء فقال:

"لقيت جبريل عليه السلام عند أحجار المراء، فقال: يا جبريل، إني أرسلت إلى أمة أمية، الرجل والمرأة، والغلام والجارية، والشيخ العاسي الذي لم يقرأ كتابا قط، قال: إن القرآن نزل على سبعة أحرف". رواه أحمد

﴿ ٥٢ ﴾

أشرفوا على هذه الإطلالة الرائعة لهما :

إذا انفتل جبريل عليه السلام عائدا إلى السماء كان ﷺ يشرع في القراءة والترتيل والترنم بما تعلم من القرآن كما في البخاري عن ابن عباس..

﴿ ٥٣ ﴾

لا يتوقف هذا الجمال عند هذه الظلال بل كان المعلم عليه السلام يتعاهد حبيبه ﷺ بالمراجعة والمدارسة والتثبيت في كل عام مرة، يأتيان فيها على كل القرآن حروفا ومعاني وهدايات وأحكاما، كانت مجالس عدة في شهر القرآن شهر رمضان، وفي السنة العاشرة دارسه أياه مرتين...

﴿ ٥٤ ﴾

تلك صور ومرحلة من قصة القرآن ومراحله، ما إن تنتهي مرحلته الثانية بين جبريل عليه السلام ورسولنا ﷺ ، حتى يبدأ بعده مشهد آخر من مشاهده، ومرحلة عظيمة من مراحل حفظه وجمعه بين رسول الله ﷺ وأصحابه :

﴿ ٥٥ ﴾

مع أول نزوله بُرئت أول جمعيات تعليم القرآن وتحفيظه في المدينة النبوية بإشرافه وقيادته ﷺ "تحفيظ وتعليم معا"، علم وخشية وعمل...

﴿ ٥٦ ﴾

كنت كتبتُ قبل سنوات وكتب غيري اقتراحا بتحويل مسمى جمعيات التحفيظ اليوم إلى جمعيات تعليم كما كانت على عهده ﷺ ، لقد قال ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".. والتعليم مرتبة فوق التحفيظ تجمع الحفظ والعلم والعمل والخشية والأدب..



﴿ ٥٧ ﴾

كان ﷺ يختار من يلقنه ويعلمه القرآن، ممن رأى فطنتهم وهمتهم في الحفظ والتعلم والإتقان كالأربعة الخلفاء والأربعة القراء وتمام السبعة وغيرهم من قراء الصحابة رضي الله عنهما وسيأتي ذكرهم إن شاء الله.

﴿ ٥٨ ﴾

بل إن الاختيار تارة يكون من الله تعالى كأبي بن كعب .. ففي الصحيح أن نبي الله ﷺ قال لأبي:

إن الله أمرني أن أقرئك القرآن قال: آلله سماني لك؟ قال: نعم قال: وقد ذكرت عند رب العالمين؟ قال: نعم فذرفت عيناه. متفق عليه

﴿ ٥٩ ﴾

ابن أم عبد -رضي الله عنه- يعلق صورة أخرى له من صور الفخر مع ﷺ وهو في حلقته يعلمه القرآن .. اسمعوا كلمة ابن مسعود:

علمني رسول الله ﷺ، وكفي بين كفيه .. متفق عليه

ما أحسن كفا بين الكفين الشريفين والقرآن يتلى.

﴿ ٦٠ ﴾

هذا طرف، وهناك طرف آخر لقصة القرآن الأولى وحفظه:

كتابة القرآن

﴿ ٦١ ﴾

كان في الصحابة رضي الله عنهم كَتَبَة .. كانوا يتسابقون كلما سمعوا آية أخذوا أقلامهم وبسطوا ألواحهم ورقاعهم وحجارتهم وكتبوا عليها..

﴿ ٦٢ ﴾

النبي ﷺ كان يرقبهم ويوجههم، ويقول:

" لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه". رواه مسلم...

كان يخشى أن يختلط غيره به أول الأمر.

﴿ ٦٣ ﴾

عدد الصحابة الذين شاركوا في كتابة الوحي ستة وعشرون كاتباً، وبلغ بهم بعضهم اثنين وأربعين كاتبا.

﴿ ٦٤ ﴾

منهم من بدأ الكتابة مبكرا في مكة كأبي بكر وعلي ثم عثمان وعمر، ثم شاركهم جماعة منهم خالد بن سعيد بن العاص، والأرقم بن أبي الأرقم....

﴿ ٦٥ ﴾

كانوا يكتبونه على حجارة أو جلود أو خشب أو جريد النخل أو العظام ... في حديث زيد عبّر عن بعض هذا بقوله:

"فتتبّعْتُ القرآن أجْمَعُهُ مِنَ الرِّقَاعِ والأكْتَافِ، والعُسُبِ وصدور الرجال".

﴿ ٦٦ ﴾

تزايد العدد في المدينة المنورة، وشارك جماعة من الأنصار، منهم: أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاذ بن جبل، وطائفة.

﴿ ٦٧ ﴾

لم يمت ﷺ حتى رأى بأم عينيه القرآن محفوظا مرتين:

- في صدور القراء من أصحابه: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾.وعند أول البعثة قبل تلقي القرآن.
- وفي رقاع ونحوها يتداولونها بينهم، ويتفاوتون في حيازتها، وبعضهم بها أحظى من بعض.

﴿ ٦٨ ﴾

لم يجتمع القرآن في صدور أكثر الصحابة في حياته ﷺ حتى لكبارهم كأبي بكر وعمر لأنه بقي ينزل إلى آخر أيامه .. ولذا عند الجمع يجدون عند أحدهم ما لم يكن عند غيره وسيأتي.

﴿ ٦٩ ﴾

هناك سبعة يروى أنهم جمعوه وعرضوه عرضا على رسول الله ﷺ وهؤلاء السبعة ترجع إليهم أسانيد قراءة الأئمة العشرة المتواترة كما ذكر الذهبي والسيوطي وغيرهما، وهم عثمان وعلي وأبي وابن مسعود وزيد وأبو موسى وأبو الدرداء رضي الله عنهم.

﴿ ٧٠ ﴾

وزاد بعضهم عمر -رضي الله عنه- فإن بعض أسانيد القراء كنافع وابن كثير وأبي عمرو وحمزة والكسائي ترجع إليه.

﴿ ٧١ ﴾

وقد جمع غيرهم من الصحابة كمعاذ بن جبل وأبي زيد وسالم مولى أبي حذيفة وعبد الله بن عمرو وعقبة بن عامر رضي الله عنهم ، ولكن لم تتصل أسانيد قراءتهم كأولئك.

﴿ ٧٢ ﴾

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم أهل عناية بالحروف فحسب، بل كانوا كما روى أبو عبد الرحمن السلمي عنهم فقال: "حدثنا الذين كانوا يُقرِئوننا: أنهم كانوا يستقرِئون من النبي ﷺ ، فكانوا إذا تعلّموا عَشْر آيات لم يخلِفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً".

﴿ ٧٣ ﴾

هذا المنهج العلمي الدقيق هو الذي جعل ابن عمر -رضي الله عنهما- يمكث أربع سنين في تعلم سورة البقرة فقط كما في طبقات ابن سعد، أو ثمان كما في بلاغات الموطأ، ولذا تبوأ ابن عمر منزلة عالية من منازل فقهاء الصحابة لا يكاد يدانيه فيها إلا القليل منهم مع الخشية والورع الذي عرفا عنه.

﴿ ٧٤ ﴾

إذا أردت أن تعرف ما الذي جعل الفارق بين طلاب التحفيظ في زماننا وبين العلم شاسعا فهو هذا ... العجلة والهمة في الحفظ بلا فقه أو خشية أو تربية وعمل إلا من رحمه الله.

﴿ ٧٥ ﴾

هذا منهج لمن أراد أن يكون عالما وإلا فلا .. في بيان العلم لابن عبد البر -رحمه الله- إشارة إلى هذا في قوله:

"طلب العلم درجات ومناقب ورتب لا ينبغي تعديها ، ومن تعداها جملة ، فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله ، ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل ، ومن تعداه مجتهداً زل".

﴿ ٧٦ ﴾

إلى أن قال: حفظ كتاب الله جل وعز وتفهمه، وكل ما يعين على فهمه فواجب طلبه معه، ولا أقول إن حفظه كله فرض، ولكن أقول إن ذلك واجب لازم على من أحب أن يكون عالماً" انتهى.

﴿ ٧٧ ﴾

هكذا كان الصحابة -رضي الله عنهم- كانوا أسبق الناس بعد الأنبياء إلى الخير، وأسرعهم إليه، وأقدرهم عليه، وكان من أعظم هممهم: حفظ كتاب الله تعالى، وتعلمه، والعمل به، ثم تعليمه ولذا تسابقوا في هذا الميدان.

﴿ ٧٨ ﴾

لقد قتل عثمان بن عفان -رضي الله عنه- شهيدا والمصحف بين يديه.

﴿ ٧٩ ﴾

وقبل عثمان قتل سبعون من القراء غدرا جملة واحدة في بئر معونة عُرفت سريتهم بسرية القراء، قال أنس -رضي الله عنه-: "ما رأيت رسول الله ﷺ وجد على أحدٍ ما وجد على أصحاب بئر معونة". البخاري

﴿ ٨٠ ﴾

لقنهم المعلم العظيم ﷺ القرآن حروفه وتشديداته وغننه وقراءاته وأحكامه ومواعظه وقصصه كما تلقاه عن جبريل عليه السلام تماما على الذي أحسن ... كانوا يتفاوتون في الأخذ وما يأخذون:

﴿ ٨١ ﴾

سمع عمرُ هشامَ بن حكيم -رضي الله عنهما- يقرأ الفرقان قراءة غريبة فلببه وذهب به إلى النبي ﷺ ، فقال ﷺ: "أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام، فقرأ فقال ﷺ: "هكذا أُنزل، ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأ فقال: هكذا أُنزل، ثم قال: إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه". متفق عليه

﴿ ٨٢ ﴾

هكذا ينطق الحديث:

- أن القراءات مُنزّلة -أي الأحرف-
- وأنه ﷺ تلقاها عن جبريل عن الله تعالى
- وأنه ﷺ قراء بها جميعا
- وأنه ﷺ علمها، وجلس لتعليمها
- وأن الصحابة -رضي الله عنهم- كل منهم أخذ منها طرفا
- وأن الصحابة كانوا يصلون بقراءات، لقد سمع عمر هشاما وهو يصلي.

﴿ ٨٣ ﴾

الأحرف السبعة أوسع من القراءات السبع والعشر وغيرها ... القراءات مذاهب للقراء كلها أي المتواترة منها ترجع إلى الأحرف السبعة التي تلقاها ﷺ في العرضة الأخيرة خاصة، وكلها احتملها مصحف عثمان -رضي الله عنه- .. لها شروط ثلاثة ستأتي.

﴿ ٨٤ ﴾

سنعود للقراءات وكيف صارت فناً، وبعض فقهها في المرحلة الرابعة والخامسة إن شاء الله، فقط دعونا نبقى الآن في حضرة الصحابة -رضي الله عنهم- وكيف كان القرآن في صدورهم وبين أيديهم.

﴿ ٨٥ ﴾

كانوا -رضي الله عنهم- على مستوى الحدث ... لقد أخذوا الكتاب بقوة، منهم من يأخذ بعلو عن رسول الله ﷺ مباشرة، ومنهم من يأخذ عنه أو ينزل ويأخذ عن غيره من الصحابة؛ إما لسابقتهم وإما لانشغاله أو غيابه في جهاد أو نحوه...

﴿ ٨٦ ﴾

أتريدون صورة مدهشة لهم مع رسول الله ﷺ ومع القرآن.. القرآن نفسه ينقلها .. أما أنا فأشعر بالخجل عند استبصارها... انظروا هذه الصورة المنصوبة في آخر المزمل:

﴿ ٨٧ ﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ﴾.

﴿ ٨٨ ﴾

- كان الله يسمع ويرى ويعلم
- الصورة للنبي ﷺ وطائفة من القراء، لم يكونوا جماعة في مكان بل كانوا أوزاعا في بيوتات مكة.
- يقومون يصلون ويتلون قريبا من ثلثي الليل.
- تأملوا أن هذا في أول الإسلام .. وأن الآية مكية على الصحيح.
- هذا شغف مبكر بالقرآن لم يلامس قلوبهم بل تمكن منها.

﴿ ٨٩ ﴾

قال مقاتل وغيره: لما نزلت: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا...﴾:

كان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه، فيقوم حتى يصبح مخافة أن يخطئ، فانتفخت أقدامهم، وانتقعت ألوانهم، فرحمهم الله وخفف عنهم؛ فقال تعالى: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾.

﴿ ٩٠ ﴾

لقد بدأ بعضهم يجلس للإقراء والتعليم في زمن النبوة، كان المعلم الكبير ﷺ شاهدا يرى، لقد أجاز ﷺ جماعة منهم، أشهرهم الخلفاء الأربعة والقراء الأربعة:

﴿ ٩١ ﴾

الصديق هو أقرأ الصحابة -رضي الله عنهم- على الإطلاق، وهذا أمر لا يلتفت إليه الكثير حتى من القراء .

﴿ ٩٢ ﴾

كان -رضي الله عنه- مُبَرّزا في كثير من أبواب العبادة والعلم لكن في خفاء وإخبات، كان يعيش في سماحة التدين الحقيقي، ولذا سيدعى من أبواب الجنة الثمانية.

﴿ ٩٣ ﴾

أما دليل تقدمه في القرآن فقوله ﷺ: "مروا أبا بكر فليصل بالناس" متفق عليه، فقدمه على كلٍ والجميع، وقد قال ﷺ: "يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، وأقدمهم قراءة" مسلم... فهو -رضي الله عنه- أقدمهم وأقرؤهم.

﴿ ٩٤ ﴾

يا معشر القراء وطلاب العلم: من استطاع منكم أن يلتفت إلى هذا الخفاء والصفاء القلبي لله وحده فليفعل، لا تقع فيما وقعنا فيه من الغثاء والجلبة ومد الأعناق إلى الناس، والله لو قيلت فيك المعلقات السبع مدحا لا يغني عنك من الله شيئا بلا إخلاص، ولتبغضنك القلوب ولو مدحتك الألسن.

﴿ ٩٥ ﴾

وهل تبغض القلوب شيخا؟ أي وربي، إذا خبثت سريرته وُضِعت له البغضاء ولو تباكى وأطرق إطراقة الوجل، وتمتم حتى يجف ريقه، وثنى عِطفه في المحراب تخشعا.

﴿ ٩٦ ﴾

عودوا بنا إلى مَشْرُبة أبي بكر ... لا يمكن أن تترجم له بأجَلّ من إلْمَاعَة بكر المزني رحمه الله: ما سبقهم أبو بكر بكثرة صيام، ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في صدره.

﴿ ٩٧ ﴾

ما الذي وقر في صدر الصديق؟ إنه إيمان كان يُرَويّه بالقرآن...

كأني أرى أبا بكر رضي الله عنه في ظل هذه الآية في الخليل:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ ...

هذا والله الذي أعوزنا وبَذّنا، بل لم نلو إليه مطينا بعد.

﴿ ٩٨ ﴾

لئن كان أبيٌّ سيد القراء فإن أبا بكر رضي الله عنهم سيد الصحابة، لم يقدم النبي ﷺ غيره على إمامة الصلاة، ولم يحج بالمسلمين والنبي ﷺ حي أحد سواه.

﴿ ٩٩ ﴾

أخذتنا سكرة الحب عما نحن فيه - أفديك بأنفاسي أبا بكر إلى أن يمنّ الله برؤيتك.

﴿ ١٠٠ ﴾

نعود إلى رَوْضَة الناظرين من قراء الصحابة، لقد اشتهرت إجازة النبي ﷺ لأربعة كما في قوله ﷺ: "خذوا القرآن من أربعة:

من ابن أم عبد فبدأ به

ومعاذ بن جبل

وأبي بن كعب

وسالم مولى أبي حذيفة". متفق عليه

﴿ ١٠١ ﴾

هذا الحديث يدل على مسائل منها :

- أن الذين ضبطوا القرآن من الصحابة كثير.
- وأن هناك من جلس للإقراء في حياته ﷺ.
- وفيه أن الإقراء لا يكون إلا بعد إجازة أهله.

﴿ ١٠٢ ﴾

وفيه أن القرآن لا يؤخذ إلا بالسماع فلا يكفي أخذه من المصاحف.. وهذا شيء مشاهد، وما تتعتع فيه عامة الناس إلا يوم استنكفوا عن الجلوس بين يدي أهله واكتفوا بتقليب وجوه المصاحف، حتى إذا رفعوا أصواتهم أو أمّ أحدهم المسبوقين آذتك لحونهم.

﴿ ١٠٣ ﴾

ولو استغنى أحد بالصحف لنزل القرآن على رسول الله ﷺ مكتوبا جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى ﷺ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ﴾ .. ولكن كما تقدم: نزل به الروح منجما يرتله على رسولنا ﷺ ويتلقاه سماعا لعظمته وشرفه وإعجازه في نظمه وأحكامه وقراءاته.

﴿ ١٠٤ ﴾

وفي قوله ﷺ: "خذوا" يشير إلى إقبال الصحابة على الأخذ.

- وتقدم ابن مسعود في هذا حيث بدأ به.
- وفيه اثنان من المهاجرين واثنان من الأنصار.
- وفيه أن الانتساب للقرآن أعلى من كل نسب، فهذا سالم الفارسي رُفع وأغنى به
- وفيهم من تأخرت وفاته وكثر طلابه كأبي، ومن توسطت كمعاذ ومن بكرت كسالم.

﴿ ١٠٥ ﴾

بقي أن أقول: إن هذا الحصر في الأربعة لا ينفي الحفظ والإقراء عن غيرهم، فقوله ﷺ: "خذوا القرآن من أربعة" أي ممن تأخذون عنهم، نظيره قوله ﷺ: "أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ"، أي من أعلمهم وإلا فأبو بكر وعمر أعلم منه.. يدل على هذا أنه ذكر غيرهم في مواطن أخر كزيد وغيره من مشاهير قرائهم.

﴿ ١٠٦ ﴾

كنت وددت يوم ذكرت أبا بكر أن أنزل بساحة الفاروق وأنظر مصحفه وأذيع قصصه مع القرآن، فقد قُذف في قلبه من حين سمع طه عند إسلامه إلى أن طعن وهو يتلوه سحرا في محراب رسول الله ﷺ إماما، مرورا بنشيجه في الفجر وهو يردد قوله سبحانه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

﴿ ١٠٧ ﴾

حتى البكاء مع القرآن كانوا مدرسة فيه، يبكون ولا يتباكون تباكي المرائين، تقول أمُنا عائشة رضي الله عنها: "كان أبو بكر رجلا بكّاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن" البخاري.

كان حُسن تلاوته وجمال صوته وهو في ساحة داره بمكة كافيا في استقطاب نساء المشركين وولدانهم حتى ناله الأذى.

﴿ ١٠٨ ﴾

هذا البكاء الصادق أخذوه أيضا سماعاً عن رسول الله ﷺ، فلربما انتصبوا خلفه يصلون وهو يذود دمعته، وفي صَدْره أزِيزٌ كأزيزِ الرّحَى من البكاء؛ أخرجه أبو داود، يسيرون على سَنَنِ الأنبياء والأولياء من قبل: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾.

﴿ ١٠٩ ﴾

حتى في مجلس السماع يهز القرآن قلبه ﷺ، ويرخي دمعته، حتى لا تفيض بل تذرف ذرفا ... هذه الصورة الخاشعة أيضا لرسول الله ﷺ في الحلقة لم يظفر بها إلا واحد من أهل القرآن: هو ابن أم عبد -رضي الله عنه- ينقلها لنا فيقول:

﴿ ١١٠ ﴾

قال: "قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ علي القرآن، فقلت: يا رسول الله، أقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئتُ إلى هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، قال: حسبك الآن، فالتفت إليه، فإذا عيناه تَذرفان" متفق عليه.

﴿ ١١١ ﴾

ألَقُ دمع رسول الله ﷺ أخذ بالقلب والبَصر عن جلسة منيفة لابن مسعود يغبط عليها وهو يقرأ بين يدي رسول الله ﷺ، لا يرتل فحسب بل يصل ترتيله الشجي إلى أن يستعبر النبي ﷺ:

سأبكيك حتى تُنفد العين ماءها ... ويشفي مني الدمع ما أتوجع

﴿ ١١٢ ﴾

في الحديث من الفقه:

قول الشيخ للتلميذ عند الشروع: اقرأ

وقول المقرئ للقارئ: حسبك

وأن سماع القرآن عبادة

وحب القرآن وحب سماعه

وتحريك القلب به

والبكاء عنده

وجواز الوقوف قبل نهاية السياق

واستشعار المسؤولية ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾

وقراءة المفضول بحضرة الفاضل

وأن عرض القرآن سنة

والوقوف قبل تمام السورة.

﴿ ١١٣ ﴾

لا نزال في مدرسته ﷺ: كان يتحسس طلابه وينظر مدى وشيجتهم بالقرآن عن بعد وهم لا يشعرون ..

كيف سيكون نبض قلبك لو لقيك رسول الله ﷺ في السكة أو المسجد ثم قال لك ما قال لأبي موسى:

"لو رأيتني يا عبد الله بن قيس وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود". متفق عليه.

﴿ ١١٤ ﴾

لقد آوى ﷺ إلى ركن متين لا من الحفاظ فقط بل من العاملين، لم يكونوا أهل تشبع بالمحفوظ أو الصوت، بل باتوا كما بات معلمهم في ظلال هذه الآية:

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾:

هذي الفتوحُ فتوحُ الأنبياءِ وما .. لها سوى الشكرِ بالأفعالِ أثمانُ

﴿ ١١٥ ﴾

لقد أَمِنَ ﷺ بعد هذه الوقفة على أحد تلاميذه على استقرار مسار:

الحفظ

والتغني

والعمل

كما أُنزل أول مرة: ﴿تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ﴾ .

﴿ ١١٦ ﴾

حتى هذه النداوة في الصوت والمزامير التي أشار إليها ﷺ لم يهتد إليها الصحابة بأنفسهم، لم يمكن إلا السماع أيضا: تغَنّى جبريل وعنه رسول الله ﷺ وعنه الصحابة وعنهم التابعين .. وما نسمعه اليوم من مزامير القراء ما هو إلا فيض من ذلك إلى يوم القيامة، يوحي بعضهم إلى بعض مزامير آل داود.

﴿ ١١٧ ﴾

لم تكن هذه الوقفة النبوية على أبي موسى وحده، بل كان ﷺ منجذبا إلى القرآن وأهله ليلا ونهارا، حضرا وسفرا .. كانت تستهويه المزامير القرآنية ويطرب لها ويأنس بها أشد من استهواء مزامير المغنين للفساق في حفلاتهم الغنائية التي يتزاحمون لها اليوم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾.

﴿ ١١٨ ﴾

يعبر ﷺ عن هذا الانجذاب القرآني وهم في السفر، فيقول:
"إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم، بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار". متفق عليه

﴿ ١١٩ ﴾

مرة أخرى:

النبي ﷺ

والقرآن

والليل

وأصوات المزامير..

حتى في السفر؟ نعم، من أَنِسَ به انقطع إليه.

﴿ ١٢٠ ﴾

الأشعريون أول أسرة قرآنية كما يقال .. تماما كالذي ترونه اليوم، بعض الأسر يجتمع الجد والأب والولد والمرأة كلهم من أهل الله، وكلٌّ بمزماره يصدح.. هذا هو الشرف وربي:

تلك المكارم لا قعبان من لبن .. وتلك سيوف الله لا سيف ابن ذي يزن

﴿ ١٢١ ﴾

سأختم بمثال يدل على تتبعه ﷺ لأهل القرآن ولو في خلواتهم يسأل عنهم ويقوم مناهجهم .. سأترك لصاحب الشأن عبدالله بن عمرو يحدثنا:
يقول رضي الله عنه: قال لي النبي ﷺ ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟ قلت: إني أفعل ذلك، قال: فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك، ونفهت نفسك، وإن لنفسك حقا..

﴿ ١٢٢ ﴾

كيف كان العابد عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يقرأ القرآن ومتى؟

أما متى ففي قيام الليل كعادتهم رضي الله عنهم، لكنه لم يكد لينام، وأما كيف فكان ربما ختمه في ليلة، يدل عليه هذه المراجعة بينه وبين رسول الله ﷺ:

﴿ ١٢٣ ﴾

يقول رضي الله عنه:

قلت: يا رسول الله في كم أقرأ القرآن؟ قال: اقرأه في كل شهر قال: إني أقوى على أكثر من ذلك .... إلى أن قال: اقرأه في سبع. قال: قلت: إني أقوى على أكثر من ذلك قال ﷺ: لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث...

﴿ ١٢٤ ﴾

سنضرب أطناب الخيام ويطول المقام لو تتبعنا أحوال المدرسة القرآنية النبوية وأثرها في قلوب الصحابة -رضي الله عنهم- الرصيد كبير كِبر أقدارهم كلما أردتُ أن اعتلي فرس الأفكار إلى حضرة التابعين وأولي وجه الحديث شطرهم ناداني تاريخ الصحابة ..

أخبارهم مع القرآن مذهلة...

﴿ ١٢٥ ﴾

أسيد بن حضير -رضي الله عنه- سيد الأوس قبل الإسلام وبعده شريف من الأشراف في نسبه وهيئته وحكمته وشجاعته... لم يعد بعد الإسلام يحدث نفسه ولا غيره بشيء من هذا، تضاءل كل هذا في عينه.. صار يتحدث فقط عن شرفه بالقرآن .. لقد أوتي قرآنا ومزمارا استدعى حتى ملائكة السماء .. يتحدث فيقول:

﴿ ١٢٦ ﴾

بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة.. رفع رأسه إلى السماء فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح .. فلما أصبح حدّث معلمه العظيم ﷺ فقال: "اقرأ يا بن حضير، اقرأ يا بن حضير" ثم قال له ﷺ "وتدرى ما ذاك؟ قال: لا؛ قال: "تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها لا تتوارى عنهم".

﴿ ١٢٧ ﴾

لقد فُضِّلوا بأخذه طريا من في رسول الله ﷺ، كان ابن مسعود تحدث عن هذا الشرف فيقول: "والله لقد أخذت من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة، والله لقد علم أصحابه ﷺ أني من أعلمهم بكتاب الله، وما أنا بخيرهم، قال شقيق: فجلست في الحلق أسمع ما يقولون، فما سمعت رادا يقول غير ذلك". متفق عليه

﴿ ١٢٨ ﴾

هناك طرائق أخرى استعملها ﷺ في تحفيز طلاب مدرسته إلى القرآن: كان أقوى ما يحفزهم العروض الأخروية، استنصتكم لبعضها:

- (البقرة وآل عمران تأتيان كأنهما غمامتان تظلان صاحبهما).
- (سورة ثلاثون آية حاجت عن صاحبها في القبر).
- (يقال لقارئ القرآن يوم القيامة: اقرأ وارق ورتل).

﴿ ١٢٩ ﴾

هناك أخبار تدل على أن القرآن كان قد ملأ بيوتهم وأواقاتهم مع قلوبهم، بل صار مرجعا لهم حتى في تقديراتهم؛ يقول زيد -رضي الله عنه-: "تسحرنا مع النبي ﷺ ثم قام إلى الصلاة، قال أنس: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية".

﴿ ١٣٠ ﴾

الفرق بيننا وبين الصحابة -رضي الله عنهم- أن لهم قلوبا وليس لنا قلوب.. أعني القلوب التي قال الله فيها: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ...﴾ لا أشير إلى مشاهير الصحابة والقراء بل حتى من كان في غمراتهم كانت لهم آذان يسمعون بها وقلوب يفقهون بها ليست كآذاننا ولا كقلوبنا...

﴿ ١٣١ ﴾

ثابت بن شماس كان رجلا صيتا، لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، حبس نفسه في بيته، وقال: أنا من أهل النار .. خشي أن يكون هو المعني بها لأن صوته يرتفع تارة.. بقي مستكينا خائفا ولم يخرج حتى بشره سعد بن معاذ ببشارة النبي ﷺ أنه من أهل الجنة. مسلم

﴿ ١٣٢ ﴾

تخطوا حواجز الزمن وانظروا في أحوال طلاب العلم اليوم فضلا عن العامة .. صاروا يرفعون أصواتهم وآراءهم على الوحي، ويتملصون من نصوص الكتاب والسنة، فيقولون: لا تعنينا ، أو الأمر للندب ، أو النهي للكراهة ، إن تقديم الرأي والهوى ورفعه على السنة شر من رفع صوتٍ بحضرة رسول الله ﷺ.

﴿ ١٣٣ ﴾

شاهد حي: لا أظن العظمة والإمامة في الأمة التي كان فيها شيخنا ابن باز -رحمه الله- إلا من تعظيمه للوحي وخضوعه للأدلة .. انظروا الحشد للأدلة في فتاويه وترجيحاته.

﴿ ١٣٤ ﴾

عوداً إلى أوائل الذين أُخرجوا للناس من خير أمة، وكيف كانوا مع القرآن:

﴿ ١٣٥ ﴾

ما أكثر ما تقرأ في أسباب النزول قولهم: لما نزلت .. كان مجرد النزول باعثا للعمل وشاهدا على خضوع الصحابة واستجابتهم، ابحث فقط في كتب التفسير وأسباب النزول عن قولهم: لما نزلت ... ثم عش مع الاستجابة التامة والعاجلة:

﴿ ١٣٦ ﴾

لما نزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ .. كيف صنع أبو طلحة .. فينا اليوم من ينفق، لكن أن تجد من يخرج من أحب ماله لله كما فعل أبو طلحة رضي الله عنه! .. أما أنا ما رأيت من يقوى على هذا.

﴿ ١٣٧ ﴾

لما نزلت هذه الآية: ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ .. أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها .. لم يجر نقاش واحتداد بينهن في حكم الحجاب كما هو مِشغَبٌ به اليوم.

لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ...﴾ .. شق عليهم، وأينا لم يظلم نفسه؟ حتى بين لهم ﷺ وجهها.

﴿ ١٣٨ ﴾

لما نزلت: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ شق عليهم حتى خفف الله عنهم.

لما نزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ ... كيف سالت سكك المدينة ببقايا ما كانوا عليه، وأقلعوا.

كذا في سلسلة..

﴿ ١٣٩ ﴾

لقد غلبنا حتى الجن من الصحابة، لقاءٌ واحد سمعوا فيه شيئا من القرآن فاستعظموه وتعجبوا من وقعه على قلوبهم ثم ولوا مباشرة منذرين: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾.

﴿ ١٤٠ ﴾

هذه بعض أخبار هذه المدرسة القرآنية النبوية، كان يُميّزها ثلاث:

- الضبط
- والشغف
- والانقطاع التام فيها لله تعالى.

﴿ ١٤١ ﴾

وثلاثٌ شاعت في زماننا لم تكن في حسبان الصحابة -رضي الله عنهم-، وأظن الشق اتسع على الراقع بيننا وبينهم فيه:

- تباكي والتباهي
- وحفلات حفظ القرآن
- وأخذ الدنيا مقابل القرآن

﴿ ١٤٢ ﴾

لم يكن هناك تباكٍ بالقرآن في طلاب النبي ﷺ كما يفعله بعض قراء العصر، وقد هتفت قبل زمن بإخواني الأئمة والقراء على رابط يتلى على الشبكة:

(لا تتباكوا)[١]:

http://saleh-alshamrani.com/article/161

---

١ هذا المقال والمقالات الأخرى مرفقة كاملة ضمن ملحق الكتاب

﴿ ١٤٣ ﴾

ولم يكن هناك أيضا حفلات لتكريم الحفاظ، وتوزيع الميداليات الفضية أو غيرها، وهذا أيضا شيء كتبت به من قبل، لقد تدرجتْ حفلات التحفيظ من المساجد للفنادق، وتلي القرآن على شرف فلان، وسُلِّطت على الحفاظ الأضواء والمصورات حتى ضاهت حفلات المترفين.

﴿ ١٤٤ ﴾

لا يصلح تعليق القرآن على شرف فلان وفلان كائنا من كان، فالناس يَشرُفون بالقرآن ولا يشرفُ بهم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ﴾.

تجدون بيانا زائدا وراء هذا الرابط:

http://saleh-alshamrani.com/article/188

﴿ ١٤٥ ﴾

والثالثة: لم يكن الصحابة يأخذون على تعلمه وتعليمه أجراً، ففي الحديث قال ﷺ: (اقرأوا القرآن من قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقوم السهم يتعجل أجره ولا يتأجله) رواه أبوداود وقال الألباني: حسن صحيح.

﴿ ١٤٦ ﴾

وعند أبي داود وصححه الألباني أيضا أن عبادة بن الصامت علم رجلا القرآن فأهدى له قوسا فقال له النبي ﷺ: (إن سرك أن تطوق بها طوقا من نار فاقبلها).

﴿ ١٤٧ ﴾

بقيت بقية من فقه الصحابة -رضي الله عنهم- مع القرآن وهي ما يتعلق بتحزيبه، فقد كانوا يحزبونه سبعا ليختموا في كل أسبوع:

﴿ ١٤٨ ﴾

فيقرأون في اليوم الأول:

٣ سور من الفاتحة إلى النساء

ثم ٥ من المائدة إلى التوبة

ثم ٧ من يونس إلى النحل

ثم ٩ من الإسراء إلى الفرقان

ثم ١١ من الشعراء إلى يس

ثم ١٣ من الصافات إلى الحجرات

وفي السابع المفصل يبدأ من ق

﴿ ١٤٩ ﴾

وقد جمع بعضهم بداياتها في قولك:

" فمي بشوق":

الفاء للفاتحة

والميم للمائدة

والياء ليونس

والباء لبني إسرائيل "الإسراء"

والشين للشعراء

والواو للصافات

والقاف لقاف.

﴿ ١٥٠ ﴾

وقد نظمها بعضهم في بيت فقال:

بكر عقود يونس سبحانا .. وظلة يقطين قاف بانا

فالبكر: الفاتحة

والعقود: المائدة

ثم يونس

وسبحان: الإسراء

وظلة: الشعراء لقوله فيها: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِ﴾

ويقطين: الصافات لقوله تعالى فيها: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٍ﴾

ثم قاف

﴿ ١٥١ ﴾

والأصل في هذا التسبيع حديث أوس بن حذيفة عند أبي داود، قال: سألت أصحاب رسول اللهِ ﷺ كيف يحزبون القرآن؟ قالوا:

"ثلاث

وخمس

وسبع

وتسع

وإحدى عشرة

و ثلاث عشرة

وحزب المفصل وحده".

﴿ ١٥٢ ﴾

وأنا اختار أن يبدأ العبد ختمته من يوم الثلاثاء لتقع الكهف في يوم الجمعة.

﴿ ١٥٣ ﴾

ويمكن أن ينشط البعض ويختم في كل ثلاث، على ما جاء في حديث عبدالله بن عمرو، وأما في أقل من ذلك كختمة أو ختمتين في اليوم والليلة فليس بسنة، ويُخشى أن يفوت معه التدبر، وقد كتبت في هذا قبل سنوات شيئا بعنوان:

(قراءة الهذرمة):

يصاد على الشبكة أيضا؛ فالعلم صيد:

http://saleh-alshamrani.com/article/645

﴿ ١٥٤ ﴾

ومما حفظ عن بعضهم -رضي الله عنهم- الدعاء عند ختم القرآن، فكان أنسٌ -رضي الله عنه- يجمع أهله ويدعو بهم، وهذا مشروع في غير الصلاة، وأما في الصلاة الفريضة أو التراويح فغير مشروع، بل هو أقرب للحدث، وقد كتبت فيه ورقة من سنوات موجودة على الشبكة:

http://www.saleh-alshamrani.com/article/182

﴿ ١٥٥ ﴾

عطفا على قصة القرآن في مرحلته الثالثة، وكيف كانت حلقات تحفيظ الصحابة، لقد خرّجت مدرسة رسول الله ﷺ ثُلّة من الحفاظ تقدم ذكر بعضهم، وقد نص جماعة من العلماء على أبرزهم:

﴿ ١٥٦ ﴾

كالعبادلة، وأبي موسى، وعبادة، وزيد، وأبي الدرداء، وأبي هريرة، وابن عباس، وابن السائب قارئ مكة، ومن النساء: عائشة، وحفصة، وأم سلمة، وغيرهم كثير ذكرهم أبو عبيد ونقل عنه الذهبي والحافظ والسيوطي والزركشي وغيرهم رحمهم الله.

﴿ ١٥٧ ﴾

وعامة هؤلاء جلسوا للإقراء، وتتبع أخبارهم يطيل بنا المقام، لكن أنقل لكم فقط صورة واحدة لأحدهم تدل على ما ورائها:

قاضي دمشق عويمر بن عامر، أبو الدرداء الخزرجي -رضي الله عنه-:

﴿ ١٥٨ ﴾

كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه، فكان يجعلهم عشرة عشرة، وعلى كل عشرة عريفا مقرئا، ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره، فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه، فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك ".

﴿ ١٥٩ ﴾

وذكر أهل السير أنه ربما اجتمع لأبي الدرداء -رضي الله عنه- من الطلاب ألف وستمائة ونيف، وكان لكل عشرة منهم مقرىء.

﴿ ١٦٠ ﴾

إلى لونٍ آخر من ألوان طيف الصحابة، وسنا من سناهم مع القرآن:

﴿ ١٦١ ﴾

جَمَعَ الصحابة -رضي الله عنهم- القرآن جمعان تحقق بهما وعد الله سبحانه في قوله:

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝﴾:

﴿ ١٦٢ ﴾

- جمع الصدور، وقد كاشفتُ ببعض عنفوانهم فيه.
- وجمع المصحف.. وكان من فضل الله علينا أن قيّضهم -رضي الله عنهم- له ولم يكله إلى غيرهم.

﴿ ١٦٣ ﴾

بقي المسلمون ثلاثٌ وعشرون سنة مدة البعثة الشريفة وصدرا من خلافة أبي بكر وليس في أيديهم مصاحف مجموعة، كانوا يحملونه في صدورهم، وما كَتَبه كتّاب الوحي من القرآن بقي منثورا في الرقاع والأكتاف وغيرها في أيدي كثير من الصحابة، حتى اِضْطَلَعوا بجمعه:

﴿ ١٦٤ ﴾

وهذا الجمع جمعان:

الأول: في عهد أبي بكر بإشارة عمر بعد أن استحر يوم اليمامة القتل بالناس، وتولى هذا الجمع كاتب الوحي لرسول الله ﷺ زيد بن ثابت -رضي الله عنه- .. فتتبعه يجمعه من الرقاع والأكتاف والعُسُبِ وصدور الرجال، حتى أنه لم يجد آيتين من سورة التوبة إلا مع خزيمة الأنصاري.

﴿ ١٦٥ ﴾

كانت هذه الصحف التي جُمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم انتقلت إلى عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر -رضي الله عنهم-.

﴿ ١٦٦ ﴾

ويبدو أن هذه الصحف كانت احتياطية عند من ثبتت في يده، وبقي مصاحف أخرى مع الصحابة وغيرهم تنَقّلوا بها في البلدان حتى جاء زمن عثمان-رضي الله عنه- فجمع الناس على مصحف واحد بإشارةٍ من حذيفة -رضي الله عنه- لمّا رأى تنازع الناس في القراءات، وهذا هو الجمع الثاني.

﴿ ١٦٧ ﴾

سمع حذيفة بن اليمان طرفاً من الاختلاف بين أهل الشام -الذين تلقوا القراءة من أبيّ بن كعب- وبين أهل العراق -الذين كانوا يقرؤون بقراءة عبدالله بن مسعود-؛ فاستشار عثمان الصحابة -رضي الله عنهم جميعا- في جمع الناس على مصحف واحد .

﴿ ١٦٨ ﴾

أرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأصدر عثمان مرسوما بتشكيل لجنة من أربعة: ثلاثة من المهاجرين، وزيد بن ثابت كاتب الوحي الأول ينسخون للمسلمين مصحفا ترجع إليه كل المصاحف.

﴿ ١٦٩ ﴾

هذه اللجنة تكونت من: زيد بن ثابت من الأنصار، كاتب الوحي الأول

وعبد الله بن الزبير

وسعيد بن العاص، -رضي الله عنهم-.

وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، من كبار التابعين، له رؤية وليس له صحبة، وهو والد أبو بكر، أحد الفقهاء السبعة.

﴿ ١٧٠ ﴾

قال عثمان-رضي الله عنه- للرهط القرشيين الثلاثة:

- إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم
- ففعلوا
- لما نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة
- وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن تحرق.

﴿ ١٧١ ﴾

أصفى موردٍ تصدر عنه وترتوي منه في قصتي جمع القرآن هو صحيح البخاري مع شروحه؛ لقد ترجم -رحمه الله- لهما ولتأليف السور بترجمتين، أظنهما في كتاب فضائل القرآن.

﴿ ١٧٢ ﴾

الصحف التي ردها الحيي الأمين ذو النورين عثمان إلى حفصة -رضي الله عنهما- بقيت عندها إلى زمن مروان فأرسل إليها وحرّقها.

﴿ ١٧٣ ﴾

اجتمعت كلمة الصحابة -رضي الله عنهم- على هذا الجمع العظيم، ولا زال المسلمون يعيشون بركة هذا الفقه إلى أن ترفع المصاحف.

﴿ ١٧٤ ﴾

شيء لا يمكن أن يغيب عند ذكر الصحابة والقرآن: العمل والتخلق به .. يصدق في مجموعهم قول عائشة رضي الله عنها في رسول الله ﷺ: "كان خلقه القرآن".. ويتحقق فيهم قول ابن عباس في عمر -رضي الله عنهم- لما تليت عليه الآية فخضع لها؛ قال الحبر: "فوالله ما جاوزها، وكان وقّافا عند كتاب الله" رواه البخاري.

﴿ ١٧٥ ﴾

لا يمكن أن نتتبع شواهد هذا فيهم .. كان أحدهم إذا فاجأه الدليل من القرآن ربما عُقر مكانه، واستسلم لقذيفة الحق...

﴿ ١٧٦ ﴾

أظن مر معنا بعض الشواهد، لكن جرّ الحديث أني رأيت بعض حملة القرآن ربما أُجيز بالعشر والشواذ ولا ترى للقرآن إلا القليل من الأثر في سمته وأخلاقه وعبادته ومعاملته.. وكأنّ أنساً رضي الله عنه اطلع فرآه في سواد القراء فقال الكلمة المشهورة عنه وعن غيره: "رب تال للقرآن والقرآن يلعنه".

﴿ ١٧٧ ﴾

هذا الانفصام النكد بين الظاهر والباطن والعلم والعمل قد برأ الله الصحابة منه .. فعلموا أن القرآن حروف وحدود، فرعوها حق رعايتها .. فمن أراد رقي أهل الله في الدنيا والآخرة فليسلك سابلتهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾، لا يتلونه فقط، فإن مجرد التزين حصلّه حتى بعض المستشرقين.

﴿ ١٧٨ ﴾

قليل من القراء وطلاب العلم الذين يعلمون أن منهم من سيكون أول من يجر على وجهه والعياذ بالله إلى النار..

﴿ ١٧٩ ﴾

الأمر جدٌ ليس بالهزل، وجللٌ ليس باللهو؛ لقد ذكر النبي ﷺ أول الناس يقضى يوم القيامة ويسحب إلى النار ثلاثة، ومنهم:

﴿ ١٨٠ ﴾

"رجل تعلم العلم، وعلمه،

وقرأ القرآن،

فأتي به فعرفه نعمه فعرفها،

قال: فما عملت فيها؟

قال: تعلمت العلم، وعلمته،

وقرأت فيك القرآن،

قال: كذبت!

ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم،

وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ،

فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار". رواه مسلم

﴿ ١٨١ ﴾

هذا الشغف بالشهرة، ووضع المصورات في وجوه المحاريب أمام القراء، والتباهي بكثرة المتابعين والمشاهدات، واللهث وراء ذلك قد يؤدي إلى هذه الخاتمة.

﴿ ١٨٢ ﴾

الشيخ المرائي يكذب ويعلم أنه يرائي، ويعلم أن عامة المؤمنين وأهل التقوى والبصيرة تنفر قلوبهم منه إلا أن يكون مغفلا، وليس هو الذي واجه نفسه وصارحها بحقيقة قصده طمعا في زيادة الشهرة .. ولا يستطيع أحدٌ أن يواجهه بذلك حياء، حتى يتفاجأ بهذه النتيجة.

﴿ ١٨٣ ﴾

من منا يأمن الرياء على نفسه وهو أخفى من دبيب النمل، ومن يأمنه وقد خافه الصديق رضي الله عنه حتى علمه ﷺ فيما يروى أن يقول:

"اللّهُمَّ إني أعوذ بك أن أشرك بك و أنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم".

﴿ ١٨٤ ﴾

لا بد أن يفقه طلاب العلم وحملة القرآن أن تلاوته جاءت مقرونة بالعمل وتزكية النفس من الشرك والمعاصي والرذائل في مواضع من القرآن:

﴿ ١٨٥ ﴾

جاءت في دعاء الخليل عليه السلام أن يبعث الله رسولنا محمدا ﷺ لهذه المهمة العظيمة:

التلاوة

والعلم

والتزكية:

﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾.

﴿ ١٨٦ ﴾

وكانت من النعم التي امتن الله بها علينا في مواضع: في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ﴾، وقوله: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ﴾.

﴿ ١٨٧ ﴾

وكان مطرف -رحمه الله- إذا مر بهذه الآية من فاطر التي جمعت التلاوة والعمل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ كان يقول: هذه آية القراء... يعني: العالمين العاملين.

﴿ ١٨٨ ﴾

وتفطنوا أن آية القراء هذه قد جاءت بعد ذكر العمل القلبي العظيم في قول الباري سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، وكأن التي بعدها تتلو بعض صفات أهل الخشية.

﴿ ١٨٩ ﴾

كلما أردت أن أبعث مطية الحديث شطر التابعين أخذ الصحابة -رضي الله عنه- بزمامها، وزادوا قلائدها من لآلئ بحورهم الزاخرة مع القرآن ... لا بأس أن تلبّثَ حتى يضرب البيان بجرانه في حضرة هذا الجيل العظيم.

﴿ ١٩٠ ﴾

الذي كان ويستعصي عن الإهمال بل لا يسوغ أن تغيب عنه شمس البيان مما خدم الصحابة به القرآن: اكتراثهم ببيانه وتفسيره وتأويله، فلهم فيه القِدْح المعلى، والشأن الأسنى .. فليجر المداد بشيء منه:

﴿ ١٩١ ﴾

لم يكن في عهدهم -رضي الله عنهم- تفسير يتلى؛ لأنهم أهل اللسان والبيان، وقد نزل بلسانهم المبين، ثم هم قد شهدوا التنزيل مع رسول الله ﷺ، فلم تكن الحاجة حاضرة، حتى ولِد أولادهم فإذا هم بشر ينتشرون، واختلطوا بالأعاجم بعد الفتوحات، وقضى الأكابر نحبهم، فبدأت دروس التفسير.

﴿ ١٩٢ ﴾

كان أكثر كلامهم في التفسير في خمس:

- ما وراء الألفاظ والآيات من فقه وعمل، وهذا الذي تسنَّمَ أوقاتهم وهمومهم.
- ثم حديثهم لأولادهم والتابعين عن أحداث السير وأيام النبي ﷺ التي تضمنها القرآن وأشار إليها.
- كشف شيء من الغريب والمشترك، كالقرء وعسعس، والأبِّ، وفاطر، ونحوها.

﴿ ١٩٣ ﴾

الرابعة:

- رفع ما يوهم التعارض أو ما حُمل على غير وجهه، كالذي حصل بين عائشة -رضي الله عنها- وابنها عروة - رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ ...﴾.

﴿ ١٩٤ ﴾

الخامسة:

- بيان أسباب النزول .. كبيان الزبير -رضي الله عنه- لسبب قوله تعالى:
﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ...﴾، وما كان من خصومة الأنصاري له في شراج الحرة.
- أو بيان خبّاب -رضي الله عنه- لما جرى مع العاص -أبعده الله- وسبب نزول:
﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

﴿ ١٩٥ ﴾

- و قول ابن عباس في مجلس درسه: "لم أزل حريصا على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله لهما: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ، قال: عائشة وحفصة..

﴿ ١٩٦ ﴾

- أو بيان ابن مسعود والأشعث بن قيس -رضي الله عنهما- لنزول قوله تعالى:
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾، وما كان من خصومة البئر.

﴿ ١٩٧ ﴾

- أو بيان عائشة -رضي الله عنها- لاحتباس الصحابة للبحث عن قلادتها ونزول آية التيمم.
- وبيان زيد -رضي الله عنه- لانخناس المنافقين يوم أحد ونزول قوله تعالى:
﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ ، وقوله ﷺ:
"إنها طيبة، تنفي الذنوب، كما تنفي النار خبث الفضة".

﴿ ١٩٨ ﴾

وكان لمعقل بن يسار أخت خُطبت فأبى أن يزوجها فكان لا يستنكف أن يحدث كيف نزل فيه قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾.

وكيف كان يحدث ابن عمر وابن عباس -رضي الله عنهم- بقصة هلال بن أمية لمّا قذف امرأته ونزول آية اللعان وكيف كان، وكيف فُرق بين الرجل والمرأة.

﴿ ١٩٩ ﴾

اخترت شيئا من الصحيحين أو أحدهما، والأمثلة كثير في أحاديثهم -رضي الله عنهم- عن الأحداث التي عايشوها ونزل فيها قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

﴿ ٢٠٠ ﴾

تفسير الصحابة -رضي الله عنهم- للقرآن يقع في المرتبة العليا في التفسير؛ لاسيما تفاسير علمائهم، وكبرائهم كما ذكر شيخ الإسلام، كالأربعة، وأئمة القراء والفتوى، مثل: ابن مسعود، وزيد، وأبي، وابن عمر وابن عباس رضي الله عن الجميع.

﴿ ٢٠١ ﴾

وقوة تفسيرهم عائدة لخمسٍ:

- شرف الصحبة
- ومُلابَسَة التنزيل
- وفصاحة اللسان
- والتثبت والورع عند الكلام في كتاب الله
- وسلامة قلوبهم ومنهجهم من البدع والأهواء.

﴿ ٢٠٢ ﴾

نذكر حرفا من ورعهم -رضي الله عنهم- في هذا حتى ينزجر به أهل الجرأة على كلام الله، خاصة في هذه الآونة التي كثُر فيها شيء يسمونه التدبر والتأملات ممن هب ودب، يوجفون عليه بلا خيل ولا ركاب.. فلا هم أخذوا التفسير عن أهل، ولا فقهوا آلته اللغوية في ألفاظها وتراكيبها.

﴿ ٢٠٣ ﴾

وهذا الاقتحام واقع أيضا من أناس اشتطوا فيما يسمى الإعجاز العلمي للقرآن، وطَربوا للإغراب فيه، فلربما حمّلوا النص القرآني ما لا يحتمل حتى يتفق مع نظرية علمية يزعمونها، بل حتى مع بعض الفرضيات التي لم يقطع فيها العلم بعد، وهذا مزلة أقدام، ونعوذ بالله من الجرأة عليه وعلى كتابه.

﴿ ٢٠٤ ﴾

وأنا أوصي نفسي وإخواني قبل أن يكتبوا شيئا أن يراجعوا كلمة أئمة التفسير، حتى لا يخرجوا بمعنى يهدم ما شيدوا، أو يُضحك الصبيان على جهلهم، كالذي جاء من أقصى تويتر يسعى ليخبر عن نكتل بن يعقوب الذي في قوله تعالى: ﴿فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ﴾!..

﴿ ٢٠٥ ﴾

وآخر تفيقه وحذر من اصطحاب الأطفال في الحج لتقليل الزحام؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا﴾، وإنما أراد على أرجلهم...

ومن قال: الأُسر تحشر سويا يوم القيامة؛ لقوله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾، وإنما أراد أمثالهم.

﴿ ٢٠٦ ﴾

سمعت من يعد نفسه استاذا يتحدث في الإذاعة عن الوطنية وأن الأقربين أولى بالمعروف، ثم استأنس بقوله تعالى: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾..! بل أولى لأمثاله..

فأولى ثم أولى ثم أولى ... وهل للدر يحلب من مرد

﴿ ٢٠٧ ﴾

بل ظهر كلام بَئِيس آخر أشد من سابقه، وهو أن يُحَمّلَ النصوص شيئا من جهله بالعقيدة أو الفقه، كالذي يدعي أن الإسلام كفل حرية الأديان لقوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾. أو أن الربا اليسير جائز لأن النهي إنما هو عن أكله أضعافا مضاعفة.. وغير ذلك من الهذيان، والعياذ بالله.

﴿ ٢٠٨ ﴾

لكل هؤلاء نرفع لافتة الصديق -رضي الله عنه-: "أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم".

ونذكرهم قوله ﷺ:

"إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم" متفق عليه. أي من سماهم في آية آل عمران. فكم من فقيه خابط في عماية.. وحجته فيها الكتاب المنزل.

﴿ ٢٠٩ ﴾

كان الصحابة -رضي الله عنهم- أهل غيرة على القرآن، وما كانوا ليكتنتوا لمثل هذا الحمق في الاستدلال والعبث بأصول التفسير..

ما أحوج بعض الرؤوس في زماننا لضربة كضربة عمر-رضي الله عنه- لصبيغٍ حين عشعشت المتشابهات في رأسه.. ضربه حتى قال:

يا أمير المؤمنين: حسبك، قد ذهب الذي كنت أجد في رأسي.

﴿ ٢١٠ ﴾

أكثر هذا العبث الذي افتعله بعض المتعالمين والمميعين للشريعة قذفته سكرة الهوى، والطمع في الشهرة، أو نوال الكبار... لكن حرّاس الشريعة والفضيلة لهم بالمرصاد... اذكر مع ذكرهم سكرانا آخر لقي ابن مسعود يعلمه القرآن:

﴿ ٢١١ ﴾

يقول ابن مسعود:

كنت بحمص فقال لي بعض القوم:

اقرأ علينا،

فقرأت عليهم سورة يوسف،

فقال رجل من القوم

والله ما هكذا أنزلت،

قلت: ويحك والله لقد قرأتها على رسول الله ﷺ،

فبينما أنا أكلمه إذ وجدت منه ريح الخمر،

فقلت: أتشرب الخمر وتكذب بالكتاب؟

لا تبرح حتى أجلدك، قال فجلدته الحد

مسلم

﴿ ٢١٢ ﴾

نعود لأهل الصنعة:

الصحابة -رضي الله عنهم- أعلم الأمة بعد رسول الله ﷺ بالقرآن رواية ودراية، وكان النزاع بينهم في تفسيره قليلاً جداً كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله، قال: وهو في التابعين قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف، والعلم والبيان فيه أكثر.

﴿ ٢١٣ ﴾

وتفاسير الصحابة يعظمها أهل السنة خلافا لأهل الأهواء، وهي عند طائفة في حكم الرفع إذا لم يكن بينهم نزاع، وهي أقرب للصواب من غيرها، لأنهم أخذوه عن إمام التفسير الأول ﷺ الذي قال الله عنه: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾، وقد بين لهم ﷺ كما أمره الله.

﴿ ٢١٤ ﴾

لم تجمع تفاسيرهم في كتاب كما تقدم وإنما هي مبثوثة في كتب السنة:

ككتاب التفسير من البخاري

وكتب الآثار كالمصنفات،

وكتب التفسير بالأثر كالطبري ونحوه،

وكانوا يفسرون القرآن به ثم بما بينه لهم رسول الله ﷺ ثم يجتهدون رأيهم بعد ذلك بما أتاهم الله.

﴿ ٢١٥ ﴾

ولم يكونوا على مرتبة سواء، وقليل منهم من تصدر له بعد أن تضلع، ومنهم ابن مسعود الذي قال: "والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه". البخاري

﴿ ٢١٦ ﴾

وعلي -رضي الله عنه- الذي قال: سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل.

﴿ ٢١٧ ﴾

وأما مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما فجامعة فذةٌ في التفسير، هذه الجامعة هي العليا في التصنيف:

يقول ابن تيمية: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبير، وطاووس، وغيرهم...

﴿ ٢١٨ ﴾

اجتمع لابن عباس أمران:

- دعا له النبي ﷺ لما بات معه عند خالته ميمونة بقوله: "اللّٰهُمَّ فقهه في الدين وعلمه التأويل".

- وطال عمره بعد أئمة التفسير قبله حتى صار حبرا يلقب بترجمان القرآن، ولا تكاد تخلو آية إلا ونُقل عنه علم منها، وقد عرضه عليه مجاهد مرارا يوقفه عند كل آية ويفسرها.

﴿ ٢١٩ ﴾

استطاع الصحابة رضي الله عنهم أن يحملوا هذا الميراث القرآني العظيم بحروفه وحدوده وقراءاته وتفسيره حتى وضعوه بقضه وقضيضه في حجور التابعين .. وبدأت المرحلة الرابعة من مراحل قصة القرآن الكبرى.. ما هي؟ ومن هم القراء السبعة والعشرة؟ ولِمَ هذا العدد؟ وكيف؟ هذه هي الحروف القادمة إن شاء الله.

﴿ ٢٢٠ ﴾

إلى المرحلة الرابعة والخامسة في قصة القرآن العظيمة:

مرحلة التابعين وتابعيهم، وبدايات تأصيل وتدوين فن الإقراء، ونشوء القراءات السبع ثم العشر:

﴿ ٢٢١ ﴾

كان التابعون بإحسان وتابعوهم على مستوى الحدث، لقد استنفروا لهذا الحِمل العظيم، وتنادوا إلى مجالس الصحابة مصبحين، وأخذت المساجد والمقارئ زُخرفها، وَازّيّنَت بعمائم شيوخهم وألواح تلاميذهم، وأصغت الأرض لمقامات جديدة من مزامير آل داود.

﴿ ٢٢٢ ﴾

كان انتشار الصحابة -رضي الله عنهم- في البلدان: بين مكة والمدينة والشام والبصرة والكوفة ومصر وغيرها .. كانتشار النجوم في سماء ليلة المحاق، كلٌّ يشع في طرف من الأرض، وكانت محالّهم كرَوْضَةٍ أماست بها الأزهار أنفاس شمأل.

﴿ ٢٢٣ ﴾

تخرّج من حلقات قراء الصحابة خلق لا يُحصون كثرة من التابعين، خاصة حلقات السبعة الذين أُنْسئ لهم في الأجل أكثر من غيرهم، ودارت القراءات العشر على أسانيدهم:

عثمان،

وعلي،

وأبيّ،

وابن مسعود،

وزيد،

وأبي موسى،

وأبي الدرداء،

رضي الله عن الجميع.

﴿ ٢٢٤ ﴾

لكن بقي في قصة القرآن مسألةٌ توارت بالحجاب:

ما هي الأحرف السبعة؟ وما هي القراءات السبع؟ وما هي العشر؟ ومن هم العشرة؟

﴿ ٢٢٥ ﴾

تذكروا قبل أن نشرع أمورا ثلاثة ذكرناها من قبل:

- أن جبريل أقرأ النبي ﷺ القرآن على سبعة أحرف.
- وأنه ﷺ أقرأ مجموع الصحابة جميع هذه الأحرف.
- وأن كل صحابي مقرئ جلس للإقراء قد لقّنّ طلابه ما عنده من هذه الأحرف.

كما قال زيد-رضي الله عنه-: القراءة سنة متبعة، يأخذها الآخر عن الأول.

﴿ ٢٢٦ ﴾

الخلاف عريض ، وقد ذُكر فيها أربعون قولا، ولو كان تحديدها لازما لبينه الشارع، لكن سأذكر شيئا ارتضيته مما ذكره الأئمة يمكن لطالب العلم وغيره أن يركن إليه، ويجتمع له شتات المسألة:

﴿ ٢٢٧ ﴾

وهو أن العدد سبعة في الحديث لا مفهوم له، فإن العرب تستعمله ومضاعفاته كالسبعين والسبعمئة فيما يكثر تنوعه ويبلغ الكمال:

كقوله تعالى: ﴿سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾،

"سبعة يظلهم الله"،

﴿إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ ﴾،

"إلى سبع مئة ضعف".

والحرف معناه الوجه، أي نزل على أوجه متعددة بلغت به ذروة الكمال.

﴿ ٢٢٨ ﴾

وعليه فمعناها:

أن القرآن فيه تنوع في ألفاظه وتراكيبه، نزل بها لِحِكَمٍ:

- تسهيلا وتيسيرا على الأمة،
- وإضافةٍ في جمال القرآن وإعجازه،
- وزيادة بيانٍ لبعض الأحكام،
- وغير ذلك من الأسرار،
- وهذا التنوع هو الذي عبّر عنه ﷺ بالأحرف..

﴿ ٢٢٩ ﴾

والدليل على أن هذا هو المراد أن الصحابة -رضي الله عنهم- أخذوا القراءات المتنوعة ولم يبحثوا في العدد، أو يسعوا إلى تحديد هذه السبعة، ولا سألوا رسول الله ﷺ عنها، لكنهم ادركوا التنوع فيما تلقوه عن رسول الله ﷺ، وأذن لهم في القراءة بأي حرف، وقال: "كلها شاف كافٍ"..

﴿ ٢٣٠ ﴾

وعلموا أن كل قراءة مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علما وعملاً.. قال ابن تيمية رحمه الله: "ولا نزاع بين المسلمين أن الحروف السبعة التي أنزل القرآن عليها لا تتضمن تناقض المعنى وتضاده، بل قد يكون معناها متفقًا أو متقاربًا".

﴿ ٢٣١ ﴾

وعليه: فالأحرف السبعة تنوعات وأوجه كثيرة في بناء الحروف والكلمات القرآنية، قد يبقى المعنى وقد يتنوع زيادة أو نقصا بلا تضاد؛ بل يكمل بعضها بعضا؛ لأنها كلها من عند الله القائل: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾؛ ولأننا نقطع أن الله أنزله وحفظه بجميع حروفه، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾.

﴿ ٢٣٢ ﴾

هذه التنوعات الجميلة الجليلة المعجزة جمعتها القراءات العشر، وكلها ترجع إلى أسباب متعددة يمكن تَلْئِيمها في سبعة نذكرها إن شاء الله:

﴿ ٢٣٣ ﴾

الأول:

- تنوع الإعراب: مثاله:

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾، قُرئت: ﴿نزّاعةٌ﴾،

﴿ما هذا بشرا﴾ قرئت ﴿بشرٌ﴾،

وكقوله: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ قُرئت ﴿والريحانِ﴾،

وكقوله: ﴿قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾، قُرئت: ﴿قُضي عليه الموتُ﴾

﴿ ٢٣٤ ﴾

الثاني:

- تنوع تصريف الكلمة:

كقوله: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا﴾ قُرئت: ﴿جمّعَ﴾،

وكقوله: ﴿بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ قُرئت: ﴿بعّد﴾،

وكقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَـٰمٌ...﴾ قُرئت: ﴿فكّ رقبةً أو أطعَمَ﴾.

﴿ ٢٣٥ ﴾

الثالث:

- تنوع الإبدال أو اختلاف تركيب الكلمة:

تارة مع اتحاد المعنى:

كقوله: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ قُرئت: ﴿فتثبتوا﴾،

وقوله: ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ قُرئت: ﴿السراط﴾،

وقوله: ﴿ كَيۡفَ نُنشِزُهَا﴾ قُرئت: ﴿نَنْشُرُها﴾،

وقوله: ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾ قُرئت: ﴿خاتَمهُ﴾

وقوله: وجِبريل وجَبريل وجَبرئيل وجبرئل.

﴿ ٢٣٦ ﴾

وتارة مع تنوع في المعنى:

كقوله: ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ﴾ قُرئت: ﴿ وما هو على الغيب بظنين﴾ أي متهم،

وقرئت: بضنين...أي بخيل..

أرأيت ما بين المعنيين من تكامل وجمال وإبداع.

﴿ ٢٣٧ ﴾

الرابع:

تنوع بالزيادة والنقصان:

كقوله: ﴿مالك﴾ قُرئت: ﴿مَلِك﴾،

وقوله: ﴿تجري تحتها﴾، قُرئت: ﴿تجري من تحتها﴾،

وقوله: ﴿سارعوا﴾ قُرئت: ﴿وسارعوا﴾،

وقوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴾ قُرئت: ﴿والذكر والأنثى﴾ بنقص (ما خلق).

﴿ ٢٣٨ ﴾

الخامس:

- تنوع بالتقديم والتأخير:

كقوله: ﴿وَقاتَلوا وَقُتِلوا﴾ قُرئت: ﴿وَقُتِلوا وَقاتَلوا﴾،

وقوله: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّ﴾ قُرئت: ﴿وجاءت سكرة الحق بالموت﴾.

﴿ ٢٣٩ ﴾

السادس:

تنوع النطق بالإمالة، والتشديد والتخفيف، والتقليل، والترقيق والتفخيم، والإظهار، والإدغام والإشمام، مثل الإمالة في قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ وسجى، وهوى، وأمثالها .وكقوله: ﴿نُشِرَتۡ ﴾ قُرئت: ﴿نُشِّرت﴾.

﴿ ٢٤٠ ﴾

السابع:

تنوع الاسم بين: إفراد، وتثنية، وجمع، وتذكير، وتأنيث:

مثل:﴿لَّمۡ يَزِدۡهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥ﴾: ﴿ووِلْدُهُ﴾،

﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بشهادتهم﴾: ﴿بشهاداتهم﴾،

﴿وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ﴾: ﴿وكتابه﴾،

﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾: ﴿رسالاته﴾،

﴿تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾: ﴿في المجلس ﴾،

﴿إن صلاتك سكن لهم ﴾:﴿صلواتك﴾.

﴿ ٢٤١ ﴾

تلك رؤوس التنوعات القرآنية السبعة، وهي داخلة في التحدي الذي لا زال قائما للبشرية: ﴿فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾...

﴿ ٢٤٢ ﴾

لكن قبل أن نطوي سجل الكتب أحب أن تستمتعوا معي بشيء من أسرار هذا الجمال والإعجاز في رسوم القرآن ومعانيه، وأن الاختلاف كما قال بعض السلف إنما هو في الألفاظ المسموعة لا في المعاني المفهومة:

﴿ ٢٤٣ ﴾

لاحظ الإبدال المبهر في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾،

قُرئت: ﴿عند الرحمن﴾، بإبدال الباء نونا، وهما في الرسم سواء، وبينهما تكامل في المعنى رائع ففي الأولى:

كأنه قال: هم عبيد وتنسبونهم لله

وفي الثانية: كأنه قال: هم في شرف العلو الذي لم تصلوا إليه وتخبرون عنه.

﴿ ٢٤٤ ﴾

تأملوا التنوع لاستيعاب لهجات ولغات أخرى للعرب في مثل قوله سبحانه:

﴿تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾ وسُدّا،

ومثل: ﴿فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ فقد قرئت بلهجة قومنا: الذيب،

ومثل قوله: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾، فقد قُرئت بلهجة أخرى عند بعض العرب: ﴿وآتوا حقه يوم حِصادِهِ﴾.

﴿ ٢٤٥ ﴾

وهذا يقوي أن الأحرف والتنوع إنما بدأ في العهد المدني بعد الهجرة واختلاط قريش الذي نزل القرآن بلسانهم بغيرهم من العرب، ودليل هذا حديث أبيّ؛ "فإن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار بالمدينة، قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف.. ثم استزاده إلى سبعة".

﴿ ٢٤٦ ﴾

انظروا كيف تأتي اللفظة غريبةً على السمع أول مرة: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾، فلما قُرئت: ﴿وجدها تغرب في عينٍ حاميةٍ﴾ زاد إشراق المعنى.

﴿ ٢٤٧ ﴾

لنبقى في الكهف: ﴿أخرقتها ليَغرق﴾ كأن موسى هتف بالخضر أول الأمر لما شرع في خرق السفينة بقوله: ﴿ليَغرق﴾؛ فنسب الغرق إلى أهلها؛ ثم كأنه لمّا رآه أَلْحَفَ في التخريق نسب النتيجة التي لا تُرضى إليه فقال: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ﴾ كل قراءة دلت على معنى.

﴿ ٢٤٨ ﴾

هذا التكامل في المعنى بين القراءتين هو الذي يذكره المفسرون بين الآيتين كقوله تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ﴾، وفي النمل قال: ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾، والثعبان كبير الحيات والجان صغيرها، وليس بينهما تعارض وإنما دلت الأولى على ضخامتها، والثانية على سرعة اهتزازها.. فكذلك نفعل عند تعدد القراءات:

﴿ ٢٤٩ ﴾

استشعروا حدب نوحٍ عليه السلام وهو ينادي ولده لينجو كيف ناداه بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾، ثم تحنن في قراءة أخرى وصغّره: ﴿يا بُنَيِّ اركب معنا﴾... فلعله عليه السلام قال ذاك وهذا وكشفت القراءتان عن تمام المعنى.

﴿ ٢٥٠ ﴾

وكيف طلب فرعون جميع السحرة "كل ساحر"، فقال:

﴿ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ﴾، ثم جاءت قراءة تشير إلى أنه أكّدَ على إحضار مردتهم وحاذقيهم حتى يضمن الغلبة فقال:

﴿ائتوني بكل سحّار﴾، وهما لفظان في آيتي الأعراف والشعراء عند عاصم.

﴿ ٢٥١ ﴾

تأمل كيف تكشف القراءتان عن تنوع العصيان وتعدد أسباب العذاب في الآخرة في مثل قوله تعالى في المنافقين: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾، قُرئت: ﴿يُكَذِّبونَ﴾ فأظهرتا السوءتين: الكذب والتكذيب.

﴿ ٢٥٢ ﴾

إظهار القراءتين لتنوع القبح في قول اليهود، فتارة يطعنون في التوراة والقرآن:﴿قَالُواْ سِحۡرَانِ تَظَٰهَرَا﴾، ثم جاءت قراءة تنطق أنهم طعنوا تارة أخرى في الرسولين موسى ومحمد عليهما السلام: ﴿قالوا ساحران تظاهرا﴾.

﴿ ٢٥٣ ﴾

تبصّر كيف تصور القراءتان حركة عصا موسى عليه السلام: ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾، كأنها بدأت شيئا فشيئا، ثم جاءت القراءة الثانية تبين والله أعلم كيف هاجت واستقوت في نهايتها: ﴿فإذا هي تَلَقّفُ﴾.

﴿ ٢٥٤ ﴾

انظروا إلى تكامل الإكرام للرسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾، فبشرته بوصوله إلى درجة الرضى هو ومن تبعه، ولما قُرئت : ﴿لعلك تُرضى﴾... لم تفصح عن الفاعل تعظيما له ولدرجة الإكرام والرضا.

﴿ ٢٥٥ ﴾

لا أود أن أطيل لكن تأبى نفسي أن تفارق بعض الصور المعجزة المبهرة في هذا التنوع القرآني .. سأزيد إجلالا لله الذي تكلم به وأنزله:

فله المحامد والمدائح كلها ... بخواطري وجوارحي ولساني

﴿ ٢٥٦ ﴾

شاهدوا كيف يمكن لتنوع القراءة أن يحسم الخلاف الفقهي بين الجمهور والحنفية في مسألة اشتراط غسل الحائض قبل الوطء ففي قراءة : ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ ثم في الأخرى: ﴿ولا تقربوهن حتى يَطّهرْنَ﴾.

﴿ ٢٥٧ ﴾

كيف سترى هذا التنوع العجيب في هذه الآية:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾

وفي القراءة الأخرى:

﴿إثم كثير﴾

فما وجه الاختلاف:

هو إثم كثير لتنوع مفاسد الخمر،

وكبير باعتبار جناية وعِظَم إثم شاربها.. فدل كل لفظ على طرفٍ من مفاسده.

﴿ ٢٥٨ ﴾

تدبر في قوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ﴾، كيف تفصح هذه القراءة عن رسالة الرياح بالبشارة بين يدي الغيث، وقراءتان أخريان: ﴿وهو الذي يرسل الرياح نَشْرا﴾ ونُشُرا، اللتان تفصحان عن وظيفة الرياح في سَوق السحاب ونشره وتصريفه فوق البقاع.

﴿ ٢٥٩ ﴾

﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ أي نرفعها ونُرَكِّبها، ومنه نشوز المرأة أي ترفعها، وهذا الرفع لا يدل بمفرده على عودة الحياة، حتى جاءت القراءة الأخرى: ﴿نشرُها﴾ بالراء لتدل عليه، أي: نحييها ونبعثها بعد موتها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾.

﴿ ٢٦٠ ﴾

راقبوا قسوة قلوب بني إسرائيل ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾، ثم انظروا كيف دلت قراءة أخرى على زيادة هذه القسوة؛ لعلها لما زادوا في عتوهم:

﴿وجعلنا قلوبهم قَسِيّةً﴾ أي شديدة القساوة.

﴿ ٢٦١ ﴾

تنوع آخر معجز:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: فلا تقصر الملائكة ولا يعجزون، لكنها لا تنفي أن يحصل منهم تعدٍ ومجاوزة، فجاءت قراءة أخرى: ﴿وهم لا يُفْرِطُون﴾ بتخفيف الراء وسكون الفاء؛ لتدل على أنهم لا يتوفون إلاّ من قد جاء أجلُه.

﴿ ٢٦٢ ﴾

عاينوا كيف قال تعالى في مستقبل أهل الشِمال:

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ كيف جاءت القراءة الأخرى التي تصور آلة الصلي وتقليبهم في السعير كما تُرمّضُ الدجاجة على صفيحة الشِواء: ﴿ويُصَلّى سعيرا ﴾.

﴿ ٢٦٣ ﴾

لو تتبعنا عجزنا، كيف يمكن أن نعبر عن سر التنوع في القراءات بين قوله:

﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ﴾،

وقوله: ﴿إن يُعف عن طائفة منكم تعذب طائفةٌ﴾

أو بين قوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ﴾، وقوله: ﴿لَتَزولُ﴾.

أو بين قوله: ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ﴾، وفي الأخرى: ﴿يكتل﴾..

أو ...

﴿ ٢٦٤ ﴾

لا يمكن لبشرٍ أن يحيط بكل أسرار كلام الله ... تذكروا مع العجز هذه الآية فقط:

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾.

﴿ ٢٦٥ ﴾

اختم بهذا الجمال في قوله تعالى:

﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾:

فيها قراءات أشهرها:

هِيتَ لك حَسُنتْ هيئتك

هَيْتُ لك أي تهيئتُ لك

هَيْتَ لك أي هلم لك

هِئتُ لك هِئْتَ لك

وكأن مجموع المعاني يدل على تعدد مراودتها له، ومحاولاتها معه.

فإذا جمع قال: هِيتَ هَيتُ هَيتَ هِئْتُ هِئْتَ لك.

https://t.co/NYsNGdm4iZ

﴿ ٢٦٦ ﴾

أريد أن أقول شيئا بعد هذا الإغراء:

إن لم تدرسوا القراءات فترفهوا واستشفوا بسماعها من أهلها،

إن هذا:

الجمال في التنوع،

والإبهار في الاختلاف،

والإعجاز في التغيير،

والسعة في اللغة،

والعمق في المعاني،

والبيان الشامل للأحكام ...

كلها تدعوك لأن تعيش دائما في أفياء القرآن.

https://t.co/Iz6BOWYbyT

﴿ ٢٦٧ ﴾

كم سيكون القارئ المتقن محسنا أن يتغنى ببعض القراءات في محرابه، ويقف بالخلق على هذا الغَناء والكمال.. أتمنى لو اعتاد هذا الناس حتى في الحرمين الشريفين، فإنه مكتظ بنزّاع الآفاق، وكما لا يشكل على الباد أن يسمع قراءة العاكف فكذا العكس، وقد قال ﷺ قولا شافيا في القراءات: "كلها شافٍ كافٍ".

﴿ ٢٦٨ ﴾

ولقد رأيت الناس اليوم من العوام وغيرهم يتقاطرون إلى مساجد بعض قراء مكة الذين يُطَرِّزون تلاواتهم بالقراءات؛ ليعيشوا معهم هذا السحر الحلال ..

﴿ ٢٦٩ ﴾

هذا التنوع وهذه الألوان التي تسمعون من القرّاء هي التي عبّر عنها ﷺ بالأحرف السبعة: فنعود إلى قصتها، وإلى قصة القرآن الكبرى، وإلى المرابع الأولى التي شعّ فيها هذا السنا... إلى مجالس الصحابة والتابعين والقراء العشرة ورواتهم:

﴿ ٢٧٠ ﴾

التابعون الذين تخرجوا من مدارس الصحابة، لبسوا تيجان الوقار وجلسوا للإقراء، وخرّجوا أيضا عددا غفيرا من التابعين وتابعيهم، كان من هؤلاء الخريجين عشرة متميزون، عُرفوا فيما بعد بالقُرّاء العشرة، فما قصتهم؟

﴿ ٢٧١ ﴾

القُرّاء العشرة لم يكونوا وحيدين بل عاصرهم وسبقهم وخلفهم قُرّاء كثر، وإنما نسبت القراءات لهم لأنهم جمعوا أمرين مهمين:

- سعة في العلم وقوة في الضبط.
- ووِجِدَ لكل واحدٍ رواة كثيرون، حفظوها عنه ونسبوها إليه ودونوها وأشهروها بعده باسمه.. هذا هو السبب فقط.

﴿ ٢٧٢ ﴾

القراء العشرة يشبه حالهم حال الأئمة الأربعة في الفقه، فكما أن الفقه ليس منحصرا في أقوال الأربعة، بل سبقهم الفقه، وسبقهم من هو أعلم منهم أو مقارب لهم من الصحابة والتابعين فكذلك القُرّاء العشرة ليسوا وحيدين كما تقدم...

﴿ ٢٧٣ ﴾

الفرق بين الاختلاف الفقهي واختلاف القراء أن اختلاف الفقهاء قد يكون اختلاف تضاد، وأما اختلاف القراء فاختلاف تنوع وتكامل وبيان وإعجاز.

﴿ ٢٧٤ ﴾

وجه الاتفاق والشبه بين الأئمة الأربعة والقراء العشرة أنهم سبقوا إلى أمر لم يسبقهم إليه أحد، وهو تدوين علمهم أصولا وفروعا، واضطلاع أصحابهم وتلاميذهم بتدوينه عنهم، ونشره بعدهم، ونسبته إليهم، بل بعض هؤلاء الأئمة أسس مدرسته ودون بعض علمه بنفسه كالشافعي من الفقهاء والكسائي في القراء.

﴿ ٢٧٥ ﴾

هذا هو سبب التخصيص والشهرة فقط، ولذا اشتهر قول الشافعي رحمه الله: "الليث أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به"..

وأمثال الليث كُثُر: كإسحاق، وابن جرير، والأوزاعي وغيرهم رحم الله الجميع.

﴿ ٢٧٦ ﴾

وهذه لمحة أود أن يتبصرها بررة التلاميذ: أن يلتفتوا إلى علم شيوخهم فيذيعوه في الأرض إن كان ثمة وفاء.. فكم لأحدهم من الفضل والمنة على نفسه وشيخه وعلى الأمة بنشر علمه إلى أن ينال مثل أجره، قال الجويني: ما من شافعي إلا وللشافعي عليه منة إلا البيهقي، فإن له منة على الشافعي في نصرة مذهبه.

﴿ ٢٧٧ ﴾

شاهدُ هذا ماثلٌ اليوم في أئمة عصرنا الثلاثة:

الألباني -رحمه الله- توثب لعلمه بنفسه وبلغ به الآفاق...

والشيخان رُزِقا من بركة الطلاب من خدم علمهما..

ثم كم عاصرهم وسبقهم من عالِمٍ لم يحظ بمثله، بل انفضوا عنه طلابه وتركوه قائما.

﴿ ٢٧٨ ﴾

فالقراء العشرة تحقق لهم هذا أيضا فقط، وهو أن من بعدهم نسب القراءة التي ضبطها له، وأشهرها باسمه فحسب، وإلا فكل منهم قد قرأ بغير القراءة المنسوبة له، وخلق كثير قبله ومعه قرأوا بالقراءة المنسوبة إليه أيضا؛ لأنها متواترة، وإلا لم تقبل.

﴿ ٢٧٩ ﴾

أما لماذا العشر فقط ؟

فلأنها جمعت ثلاثة شروط لم تجتمع في غيرها:

- التواتر
- وموافقة مصحف عثمان رسما
- وموافقة وجه من وجوه العربية نطقا

وما سواها من القراءات كثير لكن اطرحها العلماء ووصفوها بالشذوذ لفوات شرط من هذه الثلاثة، ودُفعت أي الشاذة:

إما بعدم صحة إسنادها

أو بالنسخ.

﴿ ٢٨٠ ﴾

وهذا الذي تم كونا وقدرا، وصح شرعا هو مما حفظ الله به كتابه، وكَمُلَ به دينه، إذ لم يفت مع هذه العشر شيء من حجة الله تعالى على عباده، كما لم يفت شيء من ذلك بجمع عثمان رضي الله عنه الناس على مصحف واحد وإحراق غيره.... ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

﴿ ٢٨١ ﴾

وكل هذه القراءات المتواترة كما تقدم قد:

قرأ بها جبريل عليه السلام،

ثم رسولنا ﷺ،

ثم أقرأها الصحابة، وإن كان الصحابة يتفاوتون فيما أخذوا كما دل عليه حديث عمر وهشام المتقدم.

﴿ ٢٨٢ ﴾

والعشرة اجتمعوا في صفات:

كلهم في طبقة التابعين وتابعيهم

وكلهم أئمة في القراءات وفي لغة العرب

وكلهم اشتغل بالإقراء مدة طويلة

وكلهم أسانيدهم متواترة إلى رسول الله ﷺ إلى جبريل إلى الباري سبحانه وتعالى.

وكلهم وثقهم أئمة أهل السنة من التابعين وبعض الأئمة الأربعة وعلماء القراءات.

﴿ ٢٨٣ ﴾

وكلهم صفوة ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا﴾، وافترقوا في أمرين:

- في الطبقة، فمنهم تابعي ومنهم من تابعيهم،
- وفي البلدان، فمنهم مكي ومدني وكوفي وبصري وشامي..

ووفاء لهم -رحمهم الله- نضيء الحروف ببعض ذكرهم، لنرى شرف اتصال الإسناد الذهبي لكل واحد منهم إلى النبي ﷺ إلى جبريل عليه السلام.

﴿ ٢٨٤ ﴾

ابن عامر الشامي (٢١-١١٨)هـ:

أحد السبعة. إمام كبير وتابعي جليل، أمّ بالجامع الأموي، وجمع معها القضاء ومشيخة الإقراء بدمشق دار الخلافة سنين مديدة.

أجمع الصدر الأول على قراءته وعلى تلقيها بالقبول.

إسناده:

قرأ على أبي الدرداء وعن المغيرة المخزومي عن عثمان عن سيدنا رسول الله ﷺ عن جبريل.

﴿ ٢٨٥ ﴾

ابن كثير المكي (٤٥-١٢٠)هـ:

أحد السبعة، تابعي جليل. كان إمام الناس في القراءة بمكة لا ينازعه فيها منازع.

كان بليغا مفوها، أبيض اللحية، طويلا أسمر جسيما.

من أسانيده:

مجاهد عن ابن عباس عن أُبيّ بن كعب وعمر وزيد عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام.

قرأ عليه من العشرة أبو عمر وسيأتي.

﴿ ٢٨٦ ﴾

عاصم بن أبي النجود الكوفي ١٢٨هـ:

أحد السبعة، تابعي جليل. إمام انتهت إليه رياسة الإقراء بالكوفة.

جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد.

كان أحسن الناس صوتا بالقرآن.

من أسانيده:

قرأ على أبي عبدالرحمن السلمي عن (عثمان وعلي وابن مسعود وأبيّ وزيد) كلهم عن رسول الله ﷺ عن جبريل ﷺ.

﴿ ٢٨٧ ﴾

أبو عمرو المازني البصري (٦٨-١٥٤)هـ:

أحد السبعة، ولد بمكة من التابعين

كان أعلم الناس بالقرآن والعربية

من أسانيده:

قرأ على أبي العالية عن عمر بن الخطاب وأُبيٍّ وزيد وابن عباس وكلهم قرؤوا على رسول الله ﷺ عن جبريل ﵇.

وقرأ أيضا على أبي جعفر وابن كثير وعاصم من العشرة بأسانيدهم إليه ﷺ.

﴿ ٢٨٨ ﴾

حمزة الزيات (٨٠-١٥٦)هـ:

أحد السبعة، تابعي جليل، إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم والأعمش.

كان كبيراً عارفاً بالفرائض والعربية، أثنى عليه أبو حنيفة

يقول: ما قرأت حرفا من كتاب الله إلا بأثر.

من أسانيده: الأعمش عن ابن مسعود، وابن أبي ليلى عن علي، والسبيعي عنهما وهما عن رسول الله ﷺ.

﴿ ٢٨٩ ﴾

نافع الليثي المدني (٧٠-١٦٩)هـ:

أحد السبعة، من تابعي التابعين: أصله أصبهاني. أقرأ بالمدينة أكثر من٧٠سنة

أثنى عليه مالك وقرأ عليه، وكان الإمام أحمد يقدم قراءته ثم عاصم

سنده:

قرأ على٧٠ من التابعين كأبي جعفر أحد العشرة والأعرج والزهري، وهم عن (أبي هريرة وابن عباس) وهما عن أبيّ عن النبي ﷺ.

﴿ ٢٩٠ ﴾

الكسائي الكوفي (١٢٠-١٨٩هـ):

أحد السبعة، من تابعي التابعين

كان إمام القراءة في زمانه.

كان يجلس على كرسي لكثرتهم حوله ويتلو القرآن من أوله إلى آخره وهم يضبطون عنه.

من أسانيده:

تلقى القراءة على خلق كثير من العشرة ومن تلاميذهم كحمزة وعاصم وابن أبي ليلى وكلهم متصل السند بالنبي ﷺ.

﴿ ٢٩١ ﴾

أبو جعفر المدني (١٢٨هـ):

ثامن العشرة، تابعي جليل، كان إمام أهل المدينة في القراءة

عرض القرآن على مولاه عبد الله بن عيّاش وابن عباس وأبي هريرة، وقرأ هؤلاء الثلاثة على أبيّ بن كعب، وقرأ أبو هريرة وابن عباس على زيد بن ثابت وكلهم قرؤوا على رسول الله ﷺ ، وقرأ ﷺ على جبريل عليه السلام.

﴿ ٢٩٢ ﴾

يعقوب الحضرمي البصري (١١٧-٢٠٥هـ):

تاسع العشرة، من تابعي التابعين:

انتهت إليه رياسة القراءة بعد أبي عمرو، كان إمام جامع البصرة سنين.

من أعلم الخلق بالحروف والقراءات والنحو

إسناده:

قرأ على جماعة من التابعين وتابعيهم كسلّام الطويل عن عاصم عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي عن النبي ﷺ.

﴿ ٢٩٣ ﴾

خلف الكوفي العاشر البغدادي (١٥٠-٢٢٩هـ):

أحد راويي حمزة الكوفي من السبعة، وقد اختار لنفسه قراءة اشتهر بها وهو عاشر العشرة.

إسناده:

قرأ على سُليم بن عيسى عن حمزة الزيات وتقدم إسناد حمزة إلى رسول الله ﷺ.. كان يأخذ بمذهب حمزة وخالفه في مئة وعشرين حرفا.

﴿ ٢٩٤ ﴾

جـزى الله بالخيرات عنا أئمة ... لنا نقلوا القرآن عـذبا وسلسلا

فمنهم بدور سبعة قد توسطت ... سماء العلى والعدل زهرا وكملا

لها شهب عنها استنارت فنورت ... سواد الدجى حتى تفرق وانجلا

تـخـيرهـم نقـادهم كـل بارع ... ولـيس عـلى قـرآنه مـتأكـلا

أي هم أهل ورع لا يتأكلون بالقرآن ولا يطلبون الدنيا به.

﴿ ٢٩٥ ﴾

ستة من هؤلاء العشرة، وعشرون راويا عنهم كلهم من الموالي والعجم، أربعة فقط من العرب، وهم الذين سبقوا أيضا إلى الوحي الثاني، فأكثر أصحاب الكتب الستة منهم؛ لتعلموا أن الفضل لله يؤتيه من يشاء، وأن النسب الرفيع لا يعدل نسب العلم والتقوى؛ ولتدركوا كيف ألهتنا الدنيا والسياسة كما قال ابن خلدون.

﴿ ٢٩٦ ﴾

وهذا شائع إلى يومنا؛ فالذين أقرأونا أول مرة من باكستان، وهم أكثر من عولت عليهم جمعيات التحفيظ إلى قريب، وهم أيضا من أكثر طلاب حلقات الحرمين، ثم أخذ إخواننا من بورما راية أخرى وطاروا به.. وأما علم رواية السنة فقد خيّم في الهند من زمن ..

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾.

﴿ ٢٩٧ ﴾

نعطف القلم إلى القراء:

القراء سبعة ثم زيدوا إلى عشرة.. هذا الذي تلقتهم الأمة بالقبول، وبلغوا حدّ الرضا، وجمعوا الشروط التي وضعها أهل الصنعة، وذلك فضل الله عليهم لا يملك أحدٌ حجبه، و:

﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾

﴿ وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُ ﴾

﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَا ﴾.

﴿ ١٩٨ ﴾

وهذه الشروط الثلاثة جمعها ابن الجزري في قوله:

فكل ما وافق وجه النحو .. وكان للرسم احتمالًا يحوي

وصح إسنادًا هو القرآن .. فهذه الثلاثة الأركان

وحيثما يختلُّ شرط أثبتِ .. شذوذه لو أنه في السبعةِ

﴿ ٢٩٩ ﴾

وهؤلاء العشرة أخذ وروى عنهم خلق كثير، لكنّ من صنّف لضبط القراءات اختاروا راويين فقط لكل قارئ كشعبة وحفص عن عاصم، والدوري وأبي الحارث عن الكسائي.. وهذان الراويان فيهما صفات شيوخهما من العلم والضبط والورع، ولهم تراجم مطولة في كتب القراءات يُرجع إليها.

﴿ ٣٠٠ ﴾

وما سوى قراءات العشرة فشاذ كما تقدم، وهي قسمان:

- ما ضعف إسناده فلا حجة فيه.
- ما صح فليس قرآنا لكنها تفسر القرآن: كقراءة عائشة وحفصة:

(حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى صلاة العصر)

وكقراءة ابن مسعود: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيمانهما)

وكقراءة سعد: (وإن كان له أخ أو أخت من أم فلكل..)

﴿ ٣٠١ ﴾

والذين اختاروا السبعة ثم العشرة هم العلماء المعتبرون، نظروا في أحوالهم وأسانيدهم وسيرهم وارتضوا ما هم فيه وأعرضوا عن غيره، كشأن علماء الحديث مع المحدثين حين ارتضوا الصحيحين، وما صححه أهل الشأن واطرحوا شيئا كثيرا غيره ليس على شروطهم.

﴿ ٣٠٢ ﴾

وكحال الفقهاء تماما مع الفقه، اختاروا فقه الصحابة والسبعة ثم الأربعة وأضرابهم واتخذوا الفقه الشاذ كفقه ابن علية والأصم وراءهم ظهريا.. هذه حراسة الشريعة قائمةُ مقام من عصر الصحابة إلى يومنا هذا.. وهو وعد الله في الذكر كله: قرآن وسنة، عقيدة وشريعة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

﴿ ٣٠٣ ﴾

وقد بدئ التدوين والتدقيق في القراءات أيام التابعين ثم تابعيهم:

فكتب يحي بن يعمر (ت٨٩هـ)،

ثم مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)،

ثم القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤هـ) جعل القراء خمسة وعشرين قارءاً،

ثم أشهرها كتاب ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) الذي أصلّ للتأليف في القراءات، وهو أول من نص على السبعة.

﴿ ٣٠٤ ﴾

كتاب ابن مجاهد (السبعة في القراءات) مطبوع،

اختار السبعة لاجتماع الشروط فيهم؛ وليتوافق العدد مع الأحرف السبعة،

واختياره كان عن علم وضبط، فإنه من كبار القراء ببغداد، قد قرأ على مئة شيخ، ووثقه أئمة عصره ومن بعدهم، قال ابن الجزري:

"ولا أعلم أحداً من شيوخ القراءات أكثر تلاميذاً منه".

﴿ ٣٠٥ ﴾

ثم ازدادت شهرة السبعة لما اعتمدهم الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) في الشاطبية (حرز الأماني)، نظم السبع في ١١٧٣ بيت، اختصر فيها "التيسير في القراءات السبع" للداني (ت٤٤٤هـ)،

والشاطبي ولد أعمى، كان أعجوبة في الذكاء، آية من آيات الله، أبدع في لاميته، وتفنن فيها بأروع أساليب البيان، وأجمل عبارات البلاغة.

﴿ ٣٠٦ ﴾

وبسبب شهرة الشاطبية، وطول الزمان وقع الخلط بين القراءات السبع والأحرف السبعة، فظن كثير من الناس أن هذا هو هذا، وليس الأمر كذلك بإجماع الأمة؛ لأن القراءات السبع وتحديدها جاء متأخرا جدا، فإنما هي اختيارات ومذاهب للقراء اختاروها من الأحرف السبعة فقط، والأحرف أوسع منها كما تقدم.

﴿ ٣٠٧ ﴾

بقي الناس قريبا من قرنين والشهرة للسبعة حتى جاء رجل يسعى من جزيرة ابن عمر بين العراق وسوريا اليوم، ينسب لها فيقال: ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، إمام قارئ متفنن محقق كبير، زاد ثلاثا على السبع لتحقق شروط القبول فيها.. أذاعها في عدة منظومات، وبدأت حينها قصة أخرى:

قصة القراءات العشر:

﴿ ٣٠٨ ﴾

- منظومة الدرة المضية في القراءات الثلاث المتممة للعشر المرضية، نظم قراءات أبي جعفر ويعقوب وخلف، وأصبحت الشاطبية مع الدرة جامعتين العشر.
- ثم نظم طيِّبة النشر في القراءات العشر، لكنه لتبحره زاد طرقا ليست في الشاطبية والدرة، ومن هنا نشأت قصة أخرى يعرفها أهل الفن:

الصغرى

والكبرى

﴿ ٣٠٩ ﴾

مسائل القراءات تنقسم عند أهل الفن إلى:

أصول

وفرش

الأصول:

قواعد ثابتة مطردة لكل قراءة لا تكاد تختلف من أول القرآن إلى آخره، كالفتح أو الإمالة، والمد والقصر، والسكتات، والهمز..

الفرش:

كلمات يقل تكرارها، وقد يختلف الأداء فيها من قراءة لأخرى، كملك والصراط.. تسمى الكلمات الفرشية.

﴿ ٣١٠ ﴾

كيف لك أن تتعلم القراءات ؟

تعلم القراءات فرض على الكفاية، يختار له ربنا سبحانه من يحبهم، قال ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" البخاري.

قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان، حتى كان الحجاج، قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا.. أي هذا الفضل هو الذي جعلني أجلس للإقراء هذه المدة الطويلة.

﴿ ٣١١ ﴾

ثم هناك طريقتان لتعلم القراءات بعد حفظ القرآن وإتقانه بقراءة عاصم براوييه:

الأولى:

طريقة أهل الفن الذين يريدون الإمامة فيه والجلوس للإقراء، فهؤلاء لهم طريقة عندهم:

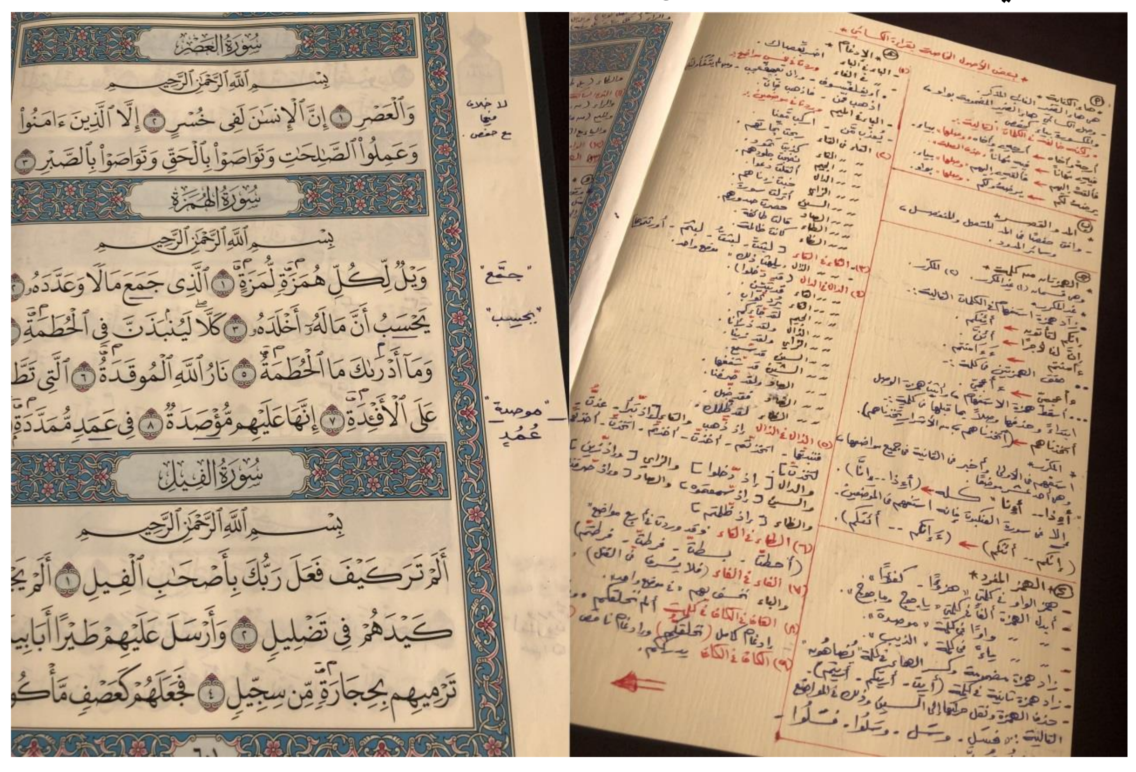
- حفظ الشاطبية ثم الدرة والطيبة لابن الجزري.
- يجلس بين يدي شيوخه مدة طويلة حتى يختم القرآن بكل قراءاته وطرقها...

﴿ ٣١٢ ﴾

الثانية:

لمن أراد فقط أخذ طرف منها لنفسه، فهذا يحتاج أن يأخذها قراءة قراءة مما يختار من العشر، فيعرف ما فيها من أصول وفرش، ويقرأ على شيخه جزءا جزءا حتى يختم.

والأولى أن يكون له مصحف لكل قراءة يسجل فيه مع شيخه الأصول في أوله، والكلمات الفرشية في مواضعها، ويستعين ببعض الكتب المعاصرة.



﴿ ٣١٣ ﴾

أنا لست من أهل هذا الفن لكن أحب أهله وأدلُّ عليهم، فإذا عزمت فهناك تفاصيل وطرائق وآداب وأحكام يرفدونك بها حين تجلس إليهم .. فلا تستقل بنفسك حتى تصحبهم مدة طويلة طويلة، ولا تعجل بالقرآن حتى يستقيم به لسانك، ويخضع له قلبك، وتذل له جوارحك .. الأمر يحتاج إلى صبر وإخلاص ....

﴿ ٣١٤ ﴾

في مقدمة الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش ذكر أنه ختم على أبيه فقط أظنه قال أربعين ختمة غير الختمات على بقية شيوخه..

هكذا وإلا فلا:

ذي المعالي فليعلون من تعالى .. هكذا وإلا فلا لا

شرفٌ ينطح النجومَ بروقيـ...ـه وعزٌ يقلقل الأجبالَ

﴿ ٣١٥ ﴾

من استطاع أن يكون من أهل ثلاثٍ:

القرآن

والفقه

والخشية

فليفعل قبل أن يموت، فما رأيت:

أوضأ منهم وجوها

ولا أعظم منهم بركة

ولا أقوم منهم ألسنة

ولا أطيب منهم قلوبا

ولا أثبت منهم جأشاً

ولا أجمل منهم تعبدا

ولا أحسن منهم أخلاقا

ولا أشرح منهم صدورا.

﴿ ٣١٦ ﴾

وفي الشاطبية:

وَبَعْدُ فَحَبْلُ اللهِ فِينَا كِتَابُهُ .. فَجَاهِدْ بِهِ حِبْلَ الْعِدَا مُتَحَبِّلاَ

وَإِنّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ .. وَأَغْنى غَنَاءٍ وَاهِباً مُتَفَضِّلاَ

وَخَيْرُ جَلِيسٍ لاَ يَمَلُّ حَدِيثُهُ .. وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلاً

﴿ ٣١٧ ﴾

أين يُقرأ بالقراءات العشر اليوم؟:

على سبيل الإجمال:

• في مصر، ودول الجزيرة العربية كلها، والشام ومشرق العالم الإسلامي من الأفغان وباكستان والهند إلى إندونيسيا، والجمهوريات الإسلامية جهة روسيا، وأكثر المسلمين في العالم يقرأون برواية حفص عن عاصم.

﴿ ٣١٨ ﴾

• الصومال، والسودان، وتشاد، وأواسط إفريقية يقرأون برواية الدوري عن أبي عمرو البصري.

• المغرب العربي كالجزائر والمغرب وموريتانيا، وغرب إفريقيا كالسنغال والنيجر ومالي ونيجيريا يقرأون برواية ورش عن نافع المدني.

• ليبيا وتونس يقرأون برواية قالون عن نافع المدني.

﴿ ٣١٩ ﴾

بقية القراءات العشر يُقرأ بها هنا وهناك، وفي مجالس القُرّاء العامرة في الحرمين والجامعات ومعاهد الإقراء.

﴿ ٣٢٠ ﴾

أشهر هذه القراءات وأكثر ما يقرأ به المسلمون في العالم هي رواية حفصٍ عن عاصم فلماذا؟

﴿ ٣٢١ ﴾

• هو أولا وآخرا فضل الله لا يحجبه حاجب.

• وقد يكون لأن أكثر العالم الإسلامي في المشرق أحناف، وكان أبو حنيفة كوفيا قد قرأ على عاصم، فمالت لها الدولة العثمانية وانتشرت في زمانها الطويل.

﴿ ٣٢٢ ﴾

• أو لأن عاصما رحمه الله أقرأ بها في أقطار كثيرة، خاصة عواصم الخلافة في زمنه: الكوفة ثم بغداد، ثم جاور وأقرأ بها في مكة فانتشرت هناك أيضا.

• أو لأنها القراءة المعتمدة في الحرمين الشريفين، فألفها الحجاج والمعتمرون.

﴿ ٣٢٣ ﴾

• أو ليسرها وتوسطها في المدود خاصة المنفصل، وخلوها من بعض ما قد يشق على العامة كإمالات حمزة والكسائي، وسكتات حمزة، وبعدها عن إسقاط أو تسهيل الهمزات خلافا لنافع، وغير ذلك من وجوه اليسر فيها.

• أو لأن نسخ المصاحف ثم طباعته في العصر الحديث في الغالب كان موافقا لها.

﴿ ٣٢٤ ﴾

• أو لاعتمادها في قاعات التدريس في المعاهد والجامعات وحلقات التحفيظ؟

• أو لأنها القراءة التي عرفت في أوائل المصاحف المسجلة والمذاعة لمشاهير القراء.

أو لهذا كله؟ أهو محض فضل الله، فالله أعلم.

إذا ما أقامَ الله رايةَ عالِمٍ .. فليس لها حتى القيامةِ ناكسُ

﴿ ٣٢٥ ﴾

حتى لا تجف المآقي، وتتصحر القلوب، أود قبل أن نغادر الحديث عن العشرة أن نستمع لنموذج لكل قارئ بإحدى الروايتين عنه، على ترتيبهم في الشاطبية والدرة لا على تاريخ وفياتهم...

	الأئمة العشرة	أشهر من روى عنهم
١	الإمام نافع المدني توفي عام ١٦٩هـ	قالون توفي عام ٢٢٠هـ ورش توفي عام ١٩٧هـ
٢	الإمام عبد الله بن كثير المكي توفي عام ١٢٠هـ	البزي توفي عام ٢٥٠هـ قنبل توفي عام ٢٩١هـ
٣	الإمام أبو عمرو البصري توفي عام ١٥٥هـ	الدوري توفي عام ٢٤٦هـ السوسي توفي عام ٢٦١هـ
٤	الإمام ابن عامر الشامي توفي عام ١١٨هـ	هشام توفي عام ٢٤٥هـ ابن ذكوان توفي عام ٢٤٢هـ
٥	الإمام عاصم بن أبي النجود الكوفي توفي عام ١٢٧هـ	شعبة توفي عام ١٧٣هـ حفص توفي عام ١٨٠هـ
٦	الإمام حمزة الزيات الكوفي توفي عام ١٥٦هـ	خلف توفي عام ٢٢٩هـ خلاد توفي عام ٢٢٠هـ
٧	الإمام الكسائي الكوفي توفي عام ١٨٩هـ	أبو الحارث توفي عام ٢٤٠هـ الدوري توفي عام ٢٤٦هـ
٨	الإمام أبو جعفر المدني توفي عام ١٣٠هـ	ابن وردان توفي عام ١٦٠هـ ابن جماز توفي عام ١٧٥هـ
٩	الإمام يعقوب الحضرمي توفي عام ٢٠٥هـ	رويس توفي عام ٢٣٨هـ روح توفي عام ٢٣٥هـ
١٠	الإمام خلف البزار وهو أحد رواة حمزة توفي عام ٢٢٩هـ	إسحاق توفي عام ٢٨٦هـ إدريس توفي عام ٢٩٢هـ

﴿ ٣٢٦ ﴾

نافع له راويان:

قالون

وورش

هذا مسمع لتلاوة بروية قالون عنه:

https://twitter.com/d_alshamrani/status/1159109523082240000

﴿ ٣٢٧ ﴾

ابن كثير المكي له راويان:

البزي

وقنبل

هذا مسمعٌ لتلاوة برواية البزي عنه: https://t.co/WJ2bmKvZuS

﴿ ٣٢٨ ﴾

أبو عمرو البصري له راويان:

الدوري

السوسي

هذا مسمعٌ لتلاوة برواية السوسي عنه: https://t.co/DlmToAXc6u

﴿ ٣٢٩ ﴾

ابن عامر الشامي له راويان:

هشام

وابن ذكوان

هذا مسمعٌ لتلاوةٍ برواية ابن ذكوان عنه: https://t.co/gwWCFi257N

﴿ ٣٣٠ ﴾

عاصم ابن أبي النجود الكوفي له راويان:

شعبة

وحفص

رواية حفص عنه هي المشهورة، وأما رواية شعبة فبينهما فروق، منها ما في هذه الصورة المرفقة:

الفرق بين شعبة وحفص

حفص	شعبة	البيان	
ٱتَّخَذتُّمُ	ٱتَّخَذتُّمُ _ وَأَخَذتُّمْ لَتَّخَذتَ أَخَذتُّهَا ٱتَّخَذتُ	أدغم شعبة الذال في التاء في باب (الاتخاذ)	حيث أتى
هُزُوًا	هُزُؤًا – كُفُؤًا	قرأ بهمزة الواو	حيث أتى
رَءُوفٌ	رَؤُفٌ	قصر شعبة الهمزة أي بدون مد	حيث أتى
خُطُوَٰتِ	خُطْوَٰتِ	أسكن شعبة الطاء	حيث أتى
البيوت	بِيُوتِكُمْ	كسر شعبة الباء معرفا كان أو منكرا مضافا أو غيره	حيث أتى
رِضْوَٰنَ	رُضْوَٰنَ	ضم شعبة الراء سوى آية المائدة رقم ١٦	حيث أتى
ٱلْمَيِّتِ	ٱلْمَيْتِ	خفف شعبة التشديد وأسكن الياء معرفا كان أو منكرا مضافا أو غيره	حيث أتى
زَكَرِيَّا	زَكَرِيَّآءَ	قرأ شعبة بهمزة بعد الألف	حيث أتى
مُّبَيِّنَةٍ	مُّبَيَّنَةٍ	فتح شعبة الياء	حيث أتى
مُّبَيِّنَٰتٍ	مُّبَيَّنَٰتٍ	فتح شعبة الياء	حيث أتى
ٱلْغُيُوبِ	ٱلْغِيُوبِ	كسر شعبة الغين	حيث أتى
رَءَا كَوْكَبًا	رِءِا كَوْكَبًا	أمال شعبة الراء والهمزة وصلاً ووقفاً في الفعل رأى إذا وقع بعد الفعل حرف متحرك	حيث أتى
رَءَا ٱلْقَمَرَ	رِءَا ٱلْقَمَرَ	أمال شعبة الراء وصلا إذا وقع بعد الفعل حرف ساكن وأما عند الوقف فأمال الراء والهمزة معا	حيث أتى

﴿ ٣٣١ ﴾

وهذا مسمعٌ لتلاوة برواية شعبة عن عاصم : https://t.co/0qohDmjN5Q

﴿ ٣٣٢ ﴾

حمزة الزيات الكوفي له راويان:

خلف

خلاد

هذا مسمعٌ لتلاوة برواية خلف عنه: https://t.co/ZbR9ilSp0g

﴿ ٣٣٣ ﴾

الكسائي الكوفي سابع السابعة له راويان:

أبو الحارث

والدوري

هذا مسمعٌ لتلاوة برواية الدوري عنه:
https://twitter.com/d_alshamrani/status/1159151388917731329

﴿ ٣٣٤ ﴾

أبو جعفر المدني له راويان:

ابن وردان

وابن جمار

هذا مسمعٌ لتلاوة برواية ابن وردان عنه: https://t.co/cvkiShGlKZ

﴿ ٣٣٥ ﴾

يعقوب الحضرمي له راويان:

رويس

روح

هذا مسمعٌ لتلاوة برواية رويس عنه: https://t.co/aQPA96aYzG

﴿ ٣٣٦ ﴾

خلف البزار أحد رواة حمزة كما تقدم وله اختصاص بقراءةٍ هي العاشرة، ويسمى خلف العاشر له راويان:

إسحاق

إدريس

هذا مسمعٌ لتلاوةٍ براوييه: https://t.co/fDko6aAiuo

﴿ ٣٣٧ ﴾

هذه حركة الإقراء العظيمة عبر القرون المفضلة، تعطرت بها أنفاس الدهر، وتزينت بها سماء التأريخ... القراء العشرة خرّجوا رجالا كثيرا وبررة، ولا زال الحفاظ في غزارة وبركة، فمن حِفظِ عدد في الصحابة إلى مئات الألوف أو الملايين في زماننا ولله الحمد...

﴿ ٣٣٨ ﴾

ولم يَعُد حفظ القرآن في صدور الذين أوتوا العلم فحسب، بل حفظه العجائز والصبيان، والعرب والعجم.. تأذن الله بحفظه، ويسر ذكره: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾... ووعد أن يُظهِره على كل كتاب: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾.
https://t.co/kCQZhfR1Ha

﴿ ٣٣٩ ﴾

وسارت قصة القرآن تؤمُّ بيوت المدر والوبر، والحواضر والعواصم وناطحات السحاب، وصار للقرآن وعلومه كليات، وللقراءات معاهد وأقسام ودراسات عليا، رجالا ونساء، صغارا وكبارا... كأنك تنظر للقرآن وأهله في كبد السماء، نجوم تتلألأ، وأقمار تدور في فلك الإسلام العظيم.

﴿ ٣٤٠ ﴾

المشتغلون بالقرآن على مر التأريخ لهم نسبٌ لا يُدَنّس، ولا يشْرَكْهُم فيه أحد من العالمين، إنهم أهل الله وخاصته كما في المسند وعند ابن ماجه وصححه الألباني من حديث أنس.

﴿ ٣٤١ ﴾

وأهل الله ليسوا سواء في النسبة بل هم متفاوتون بقدر ارتباطهم به حفظا وتلاوة وعملا واستشفاء، وتعاهدا، فإنه كتاب عزيز لا يبقى إلا مع من عاش معه وله: قال ﷺ:

"تعاهدوا القرآن، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تَفَصِّيًا من الإبل في عقلها". متفق عليه عن القارئ أبي موسى رضي الله عنه.

﴿ ٣٤٢ ﴾

وقد ذكرنا قبل هدي الصحابة رضي الله عنهم في التعاهد والتلاوة والختم، وأنهم كانوا يسبِّعونه، ختمة في كل أسبوع، ويَبْعُد أن يختمه الحافظ كل أسبوع مرة ثم ينساه، بل سينساب له، ويجري على لسانه، ويسيل على قلبه كما يسيل الشهد من فِيِّ عُكّته.

﴿ ٣٤٣ ﴾

وكيف تختم كل أسبوع؟

ختمه في أسبوع سهلٌ لمن حمل نفسه عليه، فإن النفس كالدابة إذا أشبعتها إيماناً ثم حمّلْتها من الأعمال ما تطيق تَصَعُدّاً تَصَعُدّاً انقادت وأسلست...

﴿ ٣٤٤ ﴾

فمن أراد ختمة كل سبعة أيام سيحتاج أن يقرأ كل يوم قريبا من أربعة أجزاء، فإن كان يشق عليه أن يقوم الليل بها كلها روضّ نفسه، واتبع سببا:

- يقرأ جزءا يوزعه بين الفروض والرواتب
- وجزءا في طريقه للمسجد وبين الأذان والإقامة، والباقي في قيام الليل..

فيكون قد سَنّمَ القرآن ليله ونهاره.

﴿ ٣٤٥ ﴾

هكذا دونت قصة القرآن وأهله في الليل والنهار.. وهذا مدادها ... المشاركون في تدوينها لا يشبهون سائر الناس، بل يبيتون معه سجدا وقياما، ثم تستيقظ أخلاقهم بالقرآن معهم في النهار ....

﴿ ٣٤٦ ﴾

نقف في هذه الرحلة ونقيل، إلى أن تكون النُقلة بعدها إلى خيمة أخرى من خيام قافلة القرآن، وإشراف آخر على فسطاط كبير من فساطيط أهله وخدامه إن شاء الله .. التفسير وعلوم القرآن.

﴿ ٣٤٧ ﴾

لكني أقول شيئا قبل أن تقوم من مقامك ولأهل السباق:

الناس مع القرآن على أربع مراتب:

- فمنهم من يختم كل ثلاث وهذه أليق بالعُبّاد.
- ومنهم من يختم كل سبع، وهذه أنسب لطلاب العلم.
- والعامة يختمون كل شهر، ومنهم من يتخذ بين ذلك سبيلا، وليس وراء هذه إلا الغفلة، فإن من تركها لا يكاد يلتفت.

﴿ ٣٤٨ ﴾

وقريب من هذا هو الذي يدل عليه قوله ﷺ:

"من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين،

ومن قام بمئة آية كتب من القانتين

ومن قام بألف أية كتب من المقنطرين".

رواه أبو داود وصححه الألباني. ومن قام الليل بجزئين وأكثر فكأنما قام بألف آية وقنطّر، فإن من سورة تبارك إلى الناس ألف آية.

﴿ ٣٤٩ ﴾

وقبل أن ندلف إلى فسطاط المفسرين الذي ذكرت ورد إلى الذهن شيء أود أن أهاتف به بعض القلوب: شيء أسميه سلطان القرآن..

القرآن له على القلوب غارتان:

• غارة هداية

• وغارة قهر وإذلال.

﴿ ٣٥٠ ﴾

الأولى: لأهل الإيمان.

والثانية: لأهل الكفر والعناد.

وهاتان الغارتان هما في هاتين الآيتين:

﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾.

﴿ ٣٥١ ﴾

لقد وصفه المتكلم به بأنه عزيز، ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ﴾، ومن عزته هذا الإعجاز في تأثيره على القلوب والجلود: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾.

﴿ ٣٥٢ ﴾

والقلوب والجلود التي لا تلين له يقذفها بقوته، ويجلدها بسحر بيانه حتى ولو لم يؤمنوا به ... لا يغرك سكوتهم وإعراضهم عند سماع القرآن، والله إن له عليهم قهرا وغلبة لكنهم يستكبرون ولا ينطقون حسدا من عند أنفسهم ...

﴿ ٣٥٣ ﴾

والكفار إلى اليوم عند سماع القرآن على أضرب:

• فمنهم من يُسلم كالفاروق وجبير بن مطعم

• ومنهم من ينطق فقط بدهشته منه كالوليد وعتبة

• ومنهم من يلزم الصمت في ذلة له وخوفٍ من كلمته الفصل.

• وضرب نعوذ بالله من مشابهتهم لا يحرك فيهم ساكنا؛ إنما هم كالأنعام لهم قلوب لكن لا يعقلون بها.

﴿ ٣٥٤ ﴾

سلطان القرآن الذي نتحدث عنه له تأثير عجيب

على الذوات والأسماع والقلوب:

على المؤمنين

على الكافرين

على الملائكة

على الجن

على الحجارة

على الجبال

﴿ ٣٥٥ ﴾

هل تستطيع أن تعبر عن دهشتك وسلطانه عليك وأنت تستمع لهذا الصبي الأعجمي وهو يتغنى ؟

اسمعوا: https://t.co/5tudPvcDFr

﴿ ٣٥٦ ﴾

كيف لو كان السماع:

لسالم مولى أبي حذيفة صاحب الصوت الشجي،

أو لأبي موسى راعي المزمار

أو أسيد الذي هبطت الملائكة لتغنيه

أو ابن مسعود الذي أبكى النبي ﷺ بتلاوته؟

بل كيف لو سمعته من فيّ رسول الله ﷺ الذي كاد قلب جبير بن مطعم يطير من بين جنبيه والنبي ﷺ يقرأ الطور في صلاة المغرب؟

﴿ ٣٥٧ ﴾

استشعر سلطانه وهيبته على قلوب الجن، في جلسة واحدة وأربع مراتب:

أول ما حضروه وبدأ يلامس أسماعهم: ﴿قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ﴾

ولما استمعوا لشيء منه تحدثوا: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبًا﴾.

ثم وصفوا وظيفته: ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾.

ثم دعوا إليه: ﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾.

﴿ ٣٥٨ ﴾

• الملائكة تقدم معنا في أول القصة حال فزعهم وصعقتهم حتى يُفزّع عن قلوبهم،

• والجماد رُحِمَ إذا لم ينزل عليه:

﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾،

• وأما الحجارة فإن منها:

﴿لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِ﴾.

• ثم تعالوا إلى تعبير الكافر وهو في ذهول:

﴿ ٣٥٩ ﴾

الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن وكر راجعا يقول:

ماذا أقول

والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته. انتهى

يحطم ما تحته!!

شهادة رفيعة من عدو فصيح .. ما بقي إلا الإيمان لكن منعه الكبر.

﴿ ٣٦٠ ﴾

وقال عتبة بن ربيعة مثل قوله لما سمع فصلت .. ولقد قالوا ولِمَ قالوا وفي نفس السورة:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾..

لقد أدركوا سلطانه على نسائهم وأطفالهم .. فولّوا معرضين على صورة مخزية التقطها لهم القرآن: ﴿كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ۝ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ﴾ .

﴿ ٣٦١ ﴾

عيشوا بقلوبكم أكبر صدمة جماعية للمشركين بالقرآن يوم اكتنفوا الكعبة والنبي ﷺ يتلو النجم فلما بلغ هذا الخطاب العنيف:

﴿أَزِفَتِ ٱلۡأٓزِفَةُ ۝ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝ أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ۝ وَتَضۡحَكُونَ وَلَا تَبۡكُونَ ۝ وَأَنتُمۡ سَٰمِدُونَ ۝ فَٱسۡجُدُواْ ...﴾،

سجد حتى المشركين والجن كما يقول ابن عباس في البخاري.

﴿ ٣٦٢ ﴾

وقبل أن يطوى بساط هذا أنبه على خطأ لبعض الدعاة:

يوم يمتحن كافرا فيسمعه قرآنا ثم شعرا ليثبت له هذه القوة القاهرة لخطاب القرآن التي تكلمنا عنها.!

هذه زلقة فاحشة:

القرآن لا يعرض للتجارب،

ولا يخضع للاستفتاء،

والنبي ﷺ لم يفعل هذا،

وقد يصادف مكايدا أو أطرش يقدم غير القرآن عليه فتقع فتنة.

﴿ ٣٦٣ ﴾

فليس كل رأس يرتفع بالقرآن، بل هي هداية وشرف يمن الله به على من يشاء.

لقي نافع بن عبد الحارث عمر بعسفان وقد استعمل بعده مولى على مكة يدعى ابن أبزى!

فقال: تستخلف عليهم مولى؟

قال: إنه قارئ لكتاب الله!

قال عمر: أما إن نبيكم ﷺ قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما، ويضع به آخرين". مسلم

﴿ ٣٦٤ ﴾

هذه رفعة الدنيا، وتنتظره رفعة لا تكون لغيره يوم القيامة، يوم يقال: "اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها".

ولا أعرف تعبدا لله في الجنة بغير عبادتين، هما شيء من نعيمها لا من التكليف:

عامة: يلهمون التسبيح والحمد

وخاصة: لأهل القرآن يتلونه ويرتقون.

﴿ ٣٦٥ ﴾

نعود للقافلة في قصة القرآن . .

كان لأهل القرآن من الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم الناس الحاضر خيوط ملونة أخرى نسجوا بها أجمل النسيج ، ومراسم رقشوا بها أزهى الصور في سماء القرآن .. إنها السماء ذات البروج في:

التفسير وعلوم التنزيل ..

﴿ ٣٦٦ ﴾

وقفنا في ثلاثين من هذه السلسلة من ١٩٠-٢١٩ على تفاسير السلف ومنهجهم..

لقد تلقى العلماء هذه التفاسير الطرية الأثرية، فكانت مادة ثرية لمصنفات التفسير وعلوم القرآن عبر التاريخ، كان للقرآن معها جولة أخرى كجولة القراء..:

التفسير والمفسرون.. قدروها منازل حتى عادت كالمَغْنى العظيم.

﴿ ٣٦٧ ﴾

آلاف التفاسير والدراسات حول هدايات القرآن..

تفسير بالرواية، وتفسير دراية، وتفسير فقهي، وتفسير بياني، وتفسير موضوعي، وتفسير إجمالي، وتفسير مقارن، وتفسير علمي، وتفسير تحليلي، وتفسير إشاري، وأسباب النزول، وأمثال القرآن، ألفاظ القرآن، وقصص القرآن، والأدب في القرآن.

﴿ ٣٦٨ ﴾

مجاز القرآن، رسم القرآن، أسرار القرآن، وأحكام القرآن، متشابه القرآن، مشكل القرآن، غريب القرآن، وقوف القرآن، معاني القرآن، هدايات القرآن، أساليب القرآن، المكي والمدني، الوجوه والنظائر، والمرأة في القرآن.

﴿ ٣٦٩ ﴾

بلاغة القرآن، لغات القرآن، إعجاز القرآن، إعراب القرآن، مبهمات القرآن، خصائص القرآن، المطلق والمقيد، المجمل والمبين، المحكم والمتشابه، معجم ألفاظ القرآن، العام والخاص في القرآن، ومشاهد القيامة في القرآن، والناسخ والمنسوخ في القرآن، التناسق بين آيات وسور القرآن، المقطوع والموصول في القرآن.

﴿ ٣٧٠ ﴾

هذه ليست أسماء لكتب بل هي تخصصات وأقسام تحتها ما لا يحصى من الفروع والمؤلفات والأبحاث والرسائل في كليات القرآن وعلومه في مثل الجامعة الإسلامية وجامعة أم القرى وجامعة الإمام والأزهر الشريف والزيتونة وغيرها....

﴿ ٣٧١ ﴾

آلاف من رسائل الماجستير والدكتوراه والكتب حول جزئيات القرآن ... في الجامعات الثلاث راجعت دليل الرسائل وجدت ما يربو على ألف وخمس مئة رسالة علمية عدى بحوث الترقيات والتآليف...

﴿ ٣٧٢ ﴾

أنواع التفاسير المشهورة ثلاثة:

تفسير الرواية

وتفسير الرأي

والتفسير الفقهي.

﴿ ٣٧٣ ﴾

التفسير بالرواية أو المأثور:

وهو تفسير القرآن به وبالسنة أو بكلام الصحابة أو التابعين مبثوثة في كتب السنة والآثار، ثم جمعها شيخ المفسرين ابن جرير في تفسيره جامع البيان، وعليه اعتمد غيره من أهل المأثور:

كابن كثير،

والدر للسيوطي،

والمحرر لابن عطية

ومعالم التنزيل للبغوي

والأضواء وغيرها.

﴿ ٣٧٤ ﴾

التفسير بالرأي:

وهو تفسير بالاجتهاد ممن يملك أدواته ويتبع أصول أهل السنة، ويعلم لغة العرب، ومنها:

أنوار التنزيل وأسرار التأويل البيضاوي،

ومدارك التنزيل للنسفي،

والبحر المحيط لأبي حيان

وروح المعاني للألوسي

وتفسير السعدي.

﴿ ٣٧٥ ﴾

التفسير الفقهي لآيات الأحكام العملية، ومنها:

- أحكام القرآن للشافعي.
- أحكام القرآن للهراسي الشافعي
- أحكام القرآن لابن العربي المالكي
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي المالكي
- أحكام القرآن للطحاوي الحنفي.
- أحكام القرآن للجصاص الحنفي.
- أحكام القرآن للفراء الحنبلي.

﴿ ٣٧٦ ﴾

وفي حركة التفسير لا يمكن أن نقف مع كل كتاب، لكني اذكر كتابا أشبع الطُوَى، وأروى الصدى، وأبرد الجوى في المعاني والهدايات والأحكام واللطائف والقراءات.. إنه كتاب القرطبي.. له ولصاحبه علي فضل أستوجب أن أدعو له باسمه مع مشايخي، وأن أجعل له مرسوما في هذا السياق، فنوّر الله ضريحه ورفع درجته.

﴿ ٣٧٧ ﴾

طالب العلم لا يغنيه كتاب عن كتاب.. حتى كتب الأئمة المعاصرين تجد فيها غَنَاء.. تدهشك كتب المتقدمين.. لكن حين تقف على خيمة كخيمة أضواء الشنقيطي تدرك عظمة القرآن، كيف ترى عينا معينا يفيض لا ينضب.. اقرأ تفسيره لآية بني إسرائيل:

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ...﴾.. شيء ما سُبق إليه.

﴿ ٣٧٨ ﴾

لم يكتف ربابنة التفسير في رحلتهم بالتفسير بل أخذوا حذرهم وأسلحتهم العلمية وحموا ساحتهم من العاديات وقطاع الطرق كالمبتدعة قديما والمستشرقين حديثا، ووضعوا حوله أصولا ومناهج لا يتوصل إليه إلا بمفاتحها، حتى لا يجترئ أهل الجهالة على كلام العظيم، عُرِفت هذه فيما بعدُ بأصول التفسير.

﴿ ٣٧٩ ﴾

هذه الأصول ما حام حولها كثير من الصغار الذين يهجمون على الآيات ثم يصدرون يغردون بشيء يسمونه تأملات، يظنونها فتوحات وإنما هو الشيطان آخذ بنواصيهم، فإن من أوامره: السوء والفحشاء، ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾...

وقد ذكرت نماذج من قبل لهذه الوساوس.

﴿ ٣٨٠ ﴾

وهذه الأصول أيضا ماشمّ رائحتها طوائف من المبتدعة، خاصة رؤوسهم الأربعة:

الرافضة

والمعتزلة

وغلاة المتصوفة

والاسماعيلية الباطنية

ونحوهم ممن فسروا كتاب الله وفق ما تمليه بدعهم وأهواؤهم، كتفاسير الأشعرية والخوارج.. فطالب العلم إذا رام التفسير أمّ البحور السلفية واتقى هذه المستنقعات.

﴿ ٣٨١ ﴾

في رحلة القرآن هذه، وحتى يقف طالب العلم على قدم صدق فيه يشرف على مثل حصن شيخ المفسرين في مقدمة كتابه، فقد ذكر بابا في الوجوه التي من قِبَلها يتوصل إلى معرفة تأويل القرآن، أو يرقى أُطما من آطام شيخ الإسلام ومقدمته في أصول التفسير.. أو نحوهما من كتابات الكبار.. وإلا تعثر في طريقه.

﴿ ٣٨٢ ﴾

وإن من أعظم هذه الأصول ألا يعول عند النظر في القرآن إلا على:

تفسيره به

ثم بالسنة

ثم بكلام شهود التنزيل رضي الله عنهم

وأن يعلم:

قوانين اللغة

والناسخ والمنسوخ

والمحكم والمتشابه

والمجمل والمبين

والعام والخاص

والمطلق والمقيد

ونحوه

﴿ ٣٨٣ ﴾

وأن يتَرَوّى في أربعةِ أوجهٍ من التفاسير كما قال الحبر:

• وجهٌ تعرفه العربُ من كلامها كقوله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ ﴾.

• وتفسير لا يُعذر أحدٌ بجهله كقوله: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

• وتفسير لا يعلمه إلا العلماء كقوله: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤۡلُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ تَرَبُّصُ أَرۡبَعَةِ أَشۡهُرٖ﴾.

﴿ ٣٨٤ ﴾

والرابع:

• تفسيرٌ لاَ يعلمه إلا الله تعالى ككيفيات صفاته، وحقائق الحروف المقطعة ونحوها...

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾ ..

﴿ ٤٨٥ ﴾

وهذه محكمات لكني أُذَكِّرُ بها لعلةٍ كادت تعصف بأهل القرآن في رحلتهم لكن الله عصمهم منها ...

سأذكرها بعد استكمال الأصول، واذكر كيف بطّها العلماء وشردوا بأهلها منْ خلفهم...

﴿ ٣٨٦ ﴾

فإلى حين إن شاء الله.. فقط أود أن أقول بين حروف قصة القرآن:

تقبل الله منا ومنكم هذا اليوم العظيم..[٢] فهذه عرفة قد تزينت للناظرين بالتوحيد والأمن، ولقد تزينت بالقرآن من قبل حين نزل فيها، ورسول الله ﷺ على صُعداتها:

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾.

﴿ ٣٨٧ ﴾

إن أعظم ما يلتفت إليه طالب العلم عند تفسير القرآن أن يراعي مراتب الحقوق:

وأعظمها حق الله تعالى في توحيده ونبذ الإشراك به، فإنها مادة القرآن العظيمة، لا تخلو آية من الدعوة إليه، وتعظيمه سبحانه في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته.

﴿ ٣٨٨ ﴾

فإذا رأيت طالب العلم قد عطف قلبه على هذا الأصل الكبير وطواه عليه فهو أمارة حياته واستقامة منهجه، فإن حق الله على العبيد هو الذي لأجله أُنزل القرآن وغيره، وله أرسلت الرسل ونصب الصراط.. وقام سوق الجنة والنار.

---

[٢] يوم الوقوف بعرفة العام ١٤٤٠

﴿ ٣٨٩ ﴾

ولعظمة التوحيد وفضله كان:

- أول ما تتلوه منه وفي صلاتك توحيد:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ ،

- وهي السبع المثاني المتضمنة أنواع التوحيد الثلاثة

- وأول نداء في القرآن كان لأجله

- وأول أمر به:

﴿ يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾

- وأول نهي كان فيه عن الشرك:

﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

﴿ ٣٩٠ ﴾

والمرتبة الثانية من الحقوق وهي من مقتضيات التوحيد ولوازمه، وجاءت لائحة وضّاحة فيه:

حقه ﷺ في الطاعة والاتباع والتعزير،

ولذا كان أول نداء بالطاعة هو النداء بها:

﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾.

وأول نفي للإيمان عمن لم يحكمه في حياته:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾.

﴿ ٣٩١ ﴾

ومن الحقوق مع اتباع سنته ﷺ:

عدم الشذوذ عن سبيل السلف، ولزوم منهجهم، واقتفاء آثارهم:

في الإيمان

والعلم

والعمل

والسلوك:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾..

فالوعيد في الآية على أمرين:

مشاقة الرسول

واتباع غير السلف.

﴿ ٣٩٢ ﴾

وهذه أمور تعد من المسلمات لكن ذكرتها مقدمة للتحذير من دافةٍ قديمة صار لها عَقِب وأنصار من الجهال وبعض من ينتسب للدعوة.. أدعياء تعلقوا بقافلة القرآن العظيمة، ونسبوا أنفسهم له، وتسموا بالقرآنيين، والقرآن يتبرأ منهم، يقولون:

القرآن حجة الله على خلقه، ما وجدنا فيه أخذنا به وما لا فلا !

﴿ ٣٩٣ ﴾

وهذه كلمة حق آلت إلى الباطل بل ارتدت بغلاتهم إلى الكفر والعياذ بالله، يقول السيوطي رحمه الله :

"من أنكر كون حديث النّبي ﷺ ، قولا كان أَو فعلا، بشرطه المعروف فِي الْأُصُول حجة كفر وخرج عَن دائرة الإسلام وُحشر مع اليهود والنصارى ، أَو مع من شاء الله من فرق الكفرة".

﴿ ٣٩٤ ﴾

ولو صدقوا في قرآنيتهم لأطاعوا النبي ﷺ وحكموا سنته كما أمر القرآن، لكنهم:
جهالٌ
أو معول هدم ودسيسةُ مكرٍ بالإسلام والقرآن.

فكيف سيعيشون على الإسلام بالقرآن وحده لو صدقوا ؟ فأين:
كيفية الصلاة،
وأنصبة الزكاة،
ومناسك الحج،
وأحكام العبادات والمعاملات وغيرها تفصيلا في كتاب الله؟
أين أين؟

﴿ ٣٩٥ ﴾

وهذا القول القبيح ابتدعه بعض الزنادقة وغلاة الروافض، ثم قال ببعضه القرآنيون، ومن المتعالمين من شابههم في بعض الأمر ورد شيئا مما صح عن رسول الله ﷺ وطعن في صحيح البخاري متوهما التعارض بين ما فيه وبين القرآن.. وهذا كله سببه الجهل أو الهوى بطمع في نوال بعض كُبَرائهم أو هربا من بطشهم.

﴿ ٣٩٦ ﴾

وكأن الحجب كُشفت للنبي ﷺ ليرى هؤلاء الأقزام وهم يتطاولون على سنته ويتمسحون كذبا بالقرآن فقال عنهم:
"ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه". رواه أبو داود.

﴿ ٣٩٧ ﴾

ولأجل هذا أخذ أهل القرآن جهازهم؛ ليدحضوا به الباطل، وقعدوا لهؤلاء كل مرصد، بكتب وردود وفتاوى حتى عادوا كأنهم أعجاز نخل خاوية، لا يرغب أحد في النظر إليهم، أو سوم بضاعتهم، وسلمت جمهرة القرآن، وأمن سبيلهم، وعلى منار الكتاب والسنة، ولاتزال هذه الطائفة المنصورة قائمة وظاهرة إلى يوم القيامة.

﴿ ٣٩٨ ﴾

هذه واحدة من ملاحم قصة القرآن العظمى، وإلى مشهد وفسطاط آخر، شارك فيه الفقهاء إخوانهم من أهل القرآن، وشيدوا إيوانا آخر من أواوين هذه القصة المبجلة، والحدث الفاره:

إلى فسطاط الأحكام الفقهية المتعلقة بالقرآن والمصحف والقراءات إن شاء الله، لننظر كيف يعملون:

﴿ ٣٩٩ ﴾

يتجدد مع كل حرف الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا:

﴿ ٤٠٠ ﴾

هذه الأحكام الفقهية القرآنية التي نشرع في ذكرها منها ما هو محل إجماع، ومنها مسائل اجتهاد، اذكر ما يترجح والعلم عند الله تعالى، ولا التزم ذكر الدليل والخلاف، بل اكتب عفو الخاطر، ومن أراد التحقيق آب إلى كتب أهله من المتقدمين والمعاصرين.

﴿ ٤٠١ ﴾

فلا تأخذوا بلحيتي ولا برأسي وقد قدمت إليكم بالاعتذار، فإنما هذه التغريدات حديث ركب في فسحة الإجازة ونُقلة المسافر، وحال غربة عن الكتب، فاقبلوا العفو، وعسى أن تقرأوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا.

﴿ ٤٠٢ ﴾

ولقد أضْفَتْ هذه البحوث الفقهية القرآنية التي نصها الفقهاء على اختلاف مشاربها ومذاهبها ومراتبها أضْفت على قصة القرآن تَلأَلُؤاً، وزادت مسيرة أهله وهجا، واكتملت بها الصورة، وهل تمام الزينة إلا بالفقه.

﴿ ٤٠٣ ﴾

هذه الزينة باجتماع القرآن والفقه قد تفرد بها أهل القرآن من الصحابة وبعض التابعين دون كثير ممن جاء بعدهم، فالصحابة كالأربعة الخلفاء والأربعة القراء، والعبادلة كانوا قراء فقهاء، ثم خلف من بعدهم خلفٌ ورثوا الكتاب وحده حفظا وضبطا لحروفه دون معانيه أعني الفقه الدقيق فقه الدليل والخلاف.

﴿ ٤٠٤ ﴾

وهذا الخلل-انفكاك الفقه عن القرآن- زاد في زماننا، وواقع حتى في كبار القراء، وهو في قراء العجم أكثر منه في غيرهم.

﴿ ٤٠٥ ﴾

وهذا عيب القادرين على التمام، وسببه والله أعلم الفرق الكبير بين طريقة الصحابة ومن بعدهم في تلقي القرآن، فالصحابة كانوا في مدرستهم يتعلمون الحروف والحدود، والعلم والعمل معا.. وهذا الذي جعل بعض أهل الفضل يقترح تعديل مسمى الجمعيات إلى جمعيات تعليم لا تحفيظ؛ لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

﴿ ٤٠٦ ﴾

ولو باحثت بعض المقرئين في الفقه الذي وراء آيات الطلاق، أو الدين، أو الأطعمة، أو المواريث، أو الجهاد والمغازي التي في آل عمران والأنفال والتوبة والأحزاب والحشر ونحوها لما وجدت عنده من فقهها إلا ما يعرفه العوام، وهذه خالة في وجهه:

والخال في وجه الفتى قبحٌ به .. والخال في وجه الفتاة مليح

﴿ ٤٠٧ ﴾

نعم التخصص صار شائعا ونظاميا في الجامعات ونحوها، لكن هذا لا يمنع حامل القرآن من أخذ الفقه من مجالسه، أو أن يجعل الفقه مادة النظام، ويأخذ القرآن عن أهله في المساجد، وهذا الذي فعله بعض القراء كإمام الحرمين المقرئ الكبير علي الحذيفي حفظه الله؛ فإن دراسته إلى الدكتوراه في الأزهر فقهية.



﴿ ٤٠٨ ﴾

نعود إلى قنوان فقه القرآن، نلتقط منها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ويطرب له الفكر:

﴿ ٤٠٩ ﴾

أعظم الأحكام الفقهية الكبرى التي عايشت مسيرة القرآن: مسألة تحكيمه في عبادات الناس، وجهادهم، ومعاملاتهم، وأنكحتهم، وجناياتهم وغيرها، وهذا التحكيم كان على نوعين:

خاص

وعام

وأكمل من اضطلع بهما هم الصحابة رضي الله عنهم.

﴿ ٤١٠ ﴾

فأما على سبيل الخاص فقدمنا أول هذه الحروف نماذج من خضوعهم -رضي الله عنهم- للوحي، ومسارعتهم للاستجابة له، وتفاعلهم الدقيق مع خطابه.

﴿ ٤١١ ﴾

وأما على مستوى العموم والجماعة فإن القرآن كان ولا يزال مهيمنا على الحكم والتحاكم في جميع مراحل دولة الإسلام وكافة شوؤنها:

في دولته ﷺ

ثم الخلفاء

ثم بني أمية

ثم بني العباس

ثم العثمانية

وما تخلل ذلك من دويلات في المشرق والمغرب الإسلامي إلى أن أخذت رايته المملكة السعودية حرسها الله.

﴿ ٤١٢ ﴾

وأجمع المسلمون على وجوب تحكيم الشريعة، وكان القرآن حازما في كثير من نصوصه ضد من أعرض عن حكمه، وتولى إلى القوانين الأرضية:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾.

﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

﴿ ٤١٣ ﴾

وعبّر القرآن عن تمام كلمته وعدله وصدقه وتفصيله لكل شيء تحتاجه البشرية ويهديها لكل خير:

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿ ٤١٤ ﴾

كما زاد وأعاد في بسط هيبته وذكر هيمنته حتى على الكتب السماوية السابقة، فكيف لا يهيمن على ما دونها من قوانين وضعية، وسلوم قبلية، وأفكار بشرية:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

﴿ ٤١٥ ﴾

وصوّر حال من أعرض عنه صورتين:

الأولى: في الدنيا

والثانية: يوم القيامة

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾.

واستهجن هذه العقول السخيفة التي تساوي بين حكمه وحكم خلقه:

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾.

﴿ ٤١٦ ﴾

ولقد بارز الفقهاء وأهل القرآن طوائف أرادوا عزل القرآن عن الحياة، وقالوا كلمتهم المبطلة: دع ما لله وما لقيصر لقيصر ..

وكان أول ما افتتن به المسلمون ما أحدثه فيهم جنكيز خان التتري في الياسق المشؤوم، فأغار عليهم الحافظ ابن كثير في تفسيره، وكشف عوارهم، ومحا شبهتهم، ونصر الحق.

﴿ ٤١٧ ﴾

ثم لما سعت العلمانية والليبرالية المعاصرة إلى ذات النصب، يوفضون إلى قوانين غربية، فرضها المستعمر وزينها في كثير من بلاد أهل الإسلام إلى اليوم تصدى لهم أئمة الإسلام كالشيخ محمد بن إبراهيم في رسالة تحكيم القوانين، والشيخ ابن باز والألباني وابن عثيمين في فتاوى وخطابات وحوارات مبثوثة.

﴿ ٤١٨ ﴾

وقبل أن نغادر هذه الإطلالة القرآنية أود توثيق موقف عظيم لأئمة الإسلام في هذا العصر وقفوه في وجه من أراد الإنحراف عن الحق في مسألة تحكيم القرآن، وهم طائفتان:
الأولى: دعاة القوانين الوضعية، حيث تصدوا لهم وحموا حمى الشريعة، ونافحوا عنها كما تقدم.

﴿ ٤١٩ ﴾

والثانية: من يميل إلى رأي الخوارج في التكفير بالكبيرة، وبعض دعاة الأخوان الذين كفروا بعض الدول الإسلامية وحكامها بمجرد أنهم لا يحكِّمون الشريعة، استنادا إلى ظاهر آيات أو نصوص لأهل العلم متشابهة، فتصدى لهم الراسخون، وأخص الشيخين ابن باز والألباني رحمهما الله بفتاوى ومقالات وحوارات.

﴿ ٤٢٠ ﴾

ولقد سمعنا وسمع التاريخ بعض الحوار الذي جرى بين الشيخ عبدالعزيز رحمه الله وبعض الدعاة الذين يميلون إلى هذا الرأي، وإن كادوا ليفتنونه عن الحق بكثرة جدالهم، لولا أن ثبته الله، وكان طودا شامخا على أصول أهل السنة، وسنذكره بعدُ.

﴿ ٤٢١ ﴾

وأما فتاوى وحوارات الألباني حول هذه المسألة فكثيرة تجدونها في سلاسل الهدى والنور الصوتية، وفي ثنايا وبعض مقدمات كتبه، حتى رمي برأي المرجئة حينها، وما تزحزح فيها رحمه الله عن أصل أهل السنة.

﴿ ٤٢٢ ﴾

ولكثرة الجدل حينها، والتباس الأمر على كثير، واستغلال الإخوان والقاعدة لبعض المتشابهات في استهداف دول إسلامية بالتفجيرات والاغتيالات بحجة الردة، نشر رأيه في صحيفة المسلمون وقتها، وعلق عليه ابن باز رحمهما الله أظنه في الشرق الأوسط وأثنى عليه، وبين أنه سلك في جوابه سبيل المؤمنين.

﴿ ٤٢٣ ﴾

وخلاصة النظر الفقهي للمسألة عند هؤلاء الأئمة في ثلاث:

-أن تحكيم غير شرع الله كبيرة عظيمة.

-أن من اتخذ قانونا يحكمه واعتقد أوقال إن حكمه جائز أو هو أفضل من حكم الله فإنه كافر كفرا أكبر.

-وأما من حكم في بعض القضايا لهواه فقط فإن كفره كفرا دون كفر كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ ٤٢٤ ﴾

وإذا كان الشيء يذكر بالشيء، فإني أشير في هذه الحروف من قصة القرآن موقفا قديما للخوارج في تحكيمه أول مرة كما هو مفصل في كتب التاريخ كالبداية والنهاية وغيره في أحداث صفين والنهروان، فإن أهل الشام رفعوا مصاحف أمام جيش علي رضي الله عنه؛ دعوة منهم للتحاكم إليه والصلح الموافق له.

﴿ ٤٢٥ ﴾

فحمل بعض القراء من أصحاب علي عليا رضي الله عنه على النزول إلى هذا الأمر وإلا قتلوه كما قتلوا عثمان، فلما فعل ارتدوا على قولهم، وكفّروه أنه حكم الرجال ولم يحكم بما أُنزل الله، ومن هنا بدأ تَحَفّلُ الخوارج وقتالهم لعلي رضي الله عنه.

﴿ ٤٢٦ ﴾

وفي تلك النبتة الخبيثة المتظاهرة بالغيرة على القرآن ظهر من خرج من ضئضئ ذي الخويصرة الذي تنبأ به ﷺ، وقال فيه:

"يخرج من ضئضئ هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد". متفق عليه

﴿ ٤٢٧ ﴾

لتعلموا أنه ليس كل من دعا إلى تحكيم الشريعة، أو إقامة دولة الإسلام، أو إعادة الخلافة، أو تباكى على المنكرات، أو تظاهر ضد ولاة المسلمين، أنه على هدى حتى يكون على منهج أهل السنة.. ولتتبصروا في التاريخ وأن عاقبة ذيل الخوارج اليوم هي عاقبة أولئك الأوائل؛ لا ينصرون دينا ولا يكسرون عدوا.

﴿ ٤٢٨ ﴾

وإن من أنصع الصفحات التي كتبت في قصة القرآن وأهله، وأقامت الحجة على الخلق، وأبقت كتاب الله مهيمنا وظاهرا وشاهدا في هذا العصر المتلاطم بالفتن:

قيام هذه الدولة السعودية المباركة على الشريعة، حيث استطاعت بفضل الله أن تجمع عظيمتين:

مواكبة الحضارة المعاصرة.

وإخضاعها لكتاب الله وأمره.

﴿ ٤٢٩ ﴾

وبين حروف هذه القصة القرآنية نقولها ديانة لا نفاقا:

لقد اضطلعت هذه الدولة بثلاث شاركت بها في قصة القرآن:

- طباعة المصحف الشريف على وجه لا سابق له في تاريخه في جودته واتساعه.
- وتحكيم القرآن الكريم وسط هذه التحديات العظيمة.
- وتبني تعليم القرآن وعلومه في مساجدها ومدارسها وجامعاتها.

﴿ ٤٣٠ ﴾

ثم تفيء القافلة إلى الأحكام الفقهية التي طرّزَ بها الفقهاء قصة القرآن:

﴿ ٤٣١ ﴾

منها ترتيب المصحف، وفيه مسألتان:

الأولى: ترتيب الآيات في السورة الواحدة، فهذا توقيفي إجماعا بأمره ﷺ كما علمه جبريل عليه السلام، وقد كان ﷺ يقرأ السور ويقرئ أصحابه على ترتيب آياتها هذا، وكان يذكر بعض أوائل السور وأواخرها كالكهف وآل عمران، وما كان الصحابة ليجمعوا المصحف إلا كما سمعوا.

﴿ ٤٣٢ ﴾

الثانية: ترتيب السور فيه أقوال:

• أنه توقيفي كالآيات.

• أنه باجتهاد الصحابة لمّا جمعوا القرآن، إذ كانت مصاحفهم مختلفة، فمصحف عليّ كان مرتبا حسب النزول فأوله: اقرأ ثم المدثر ثم نون، ومصحف ابن مسعود يبدأ بالبقرة..

• أن بعضه كالسبع الطوال والحواميم والمفصّل توقيفي وبعضه فوضه ﷺ للأمة.

﴿ ٤٣٣ ﴾

والصواب والله أعلم أنه توقيفي:

• فإنما ألفوه ورتبوه كما كانوا يسمعونه من النبي ﷺ.

• ولأنه نزل جملة جموعا من اللوح المحفوظ، ثم نزل منجماً.

• ولأنه ﷺ كلما نزل شيء قال: ضعوا هذه في السورة التي فيها كذا وكذا.. فكما رتب الآيات رتب السور.

• ولأن جبريل كان يدارسه القرآن على هذا الترتيب.

ولذا لما ذكر أوس بن حذيفة تحزيبهم -رضي الله عنهم- القرآن لما حزبوه ليختموه في أسبوعٍ ذكر أنه كان على هذا الترتيب الذي تقدم، والذي هو ترتيب المصحف:

خمسا

ثم سبعا

ثم تسعا

ثم إحدى عشرة

ثم ثلاث عشرة

ثم المفصل.

طريقة تحزيبُ القرآن في أسبوع

كما كان عليه كثير من الصحابة

اليوم	الحزب
اليوم الأول	من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة النساء.
اليوم الثاني	من سورة المائدة إلى نهاية سورة التوبة.
اليوم الثالث	من سورة يونس إلى نهاية سورة النحل.
اليوم الرابع	من سورة الإسراء إلى نهاية سورة الفرقان.
اليوم الخامس	من سورة الشعراء إلى نهاية سورة يس.
اليوم السادس	من سورة الصافات إلى نهاية سورة الحجرات.
اليوم السابع	من سورة ق إلى نهاية سورة الناس.

﴿ ٤٣٥ ﴾

والأمر كذلك في أسماء السور، فإنما سموها بأسماء سمعوها منه ﷺ، وشاعت بينهم:

قال ﷺ:

يؤتى بالقرآن تقدمه البقرة وآل عمران.

وقال الذي أراد أن يتزوج: معي سورة كذا وكذا

وذكر حذيفة صلاته ﷺ بالبقرة ثم النساء..

وقال ابن مسعود: بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: من العتاق الأول، وهن من تلادي.

﴿ ٤٣٦ ﴾

وهذا لا يمنع أن تسمى بأخرى:

بأوائلها

أو بعض ما ذكر فيها

أو في فضلها،

وقع هذا منه ﷺ، ومن أصحابه، والتابعين وبعض المفسرين:

كتسمية الفاتحة: بالحمد، والمثاني، وفاتحة الكتاب

والتوبة: براءة، والفاضحة

والإسراء: بني إسرائيل

والسجدة: ألم تنزيل

والملك: المنجية

والقلم: ن

والنبأ: عم

والإخلاص: الصمد.

﴿ ٤٣٧ ﴾

وهناك أسماء للمجاميع:

كالقواقل الأربع الدافعات للسحر

وكالمعوذات

والزهراوين للبقرة وآل عمران

والطوال للسبع

والمئين لثلاث بعدها

والمثاني

والطواسين الثلاث

والحواميم السبع.

﴿ ٤٣٨ ﴾

وعندهم: السور الملقبة:

كسنام القرآن للبقرة

والنساء الكبرى للنساء

وقلب القرآن للإسراء

وعروس القرآن للرحمن

والنساء الصغرى للطلاق

والقتال لمحمد

والآداب للحجرات.

﴿ ٤٣٩ ﴾

وأود أن أخبر هنا بشيء في قصة المصحف أيضا:

مصاحف الصحابة التي نسخت أول مرة لم تكن مقسمة إلى ثلاثين جزءا، ولا إلى أحزاب، وإنما كانوا يقرأون بالسور أو عدد الآيات، كما قال زيد -رضي الله عنه- في قراءتهم بين السحور والصلاة: قدر خمسين آية.. أو يقرأون سورة سورة، وإذا أردوا الختم سبّعوه كما تقدم.

﴿ ٤٤٠ ﴾

وأما تقسيمه إلى أجزاء فاصطلاحي محدث غير لازم، قيل أول من أحدثه الحجاج في العراق كلف به بعض علماء التابعين، ولعلهم قسموه على أيام الشهر، أو حسب عدد الحروف، ولذا كانت الأجزاء متساوية الصفحات، دون مراعاة للسور والمعنى. ثم جُزّيء بعدُ:

الجزء إلى حزبين

والحزب إلى أربعة أرباع

والربع إلى ثمنين.

﴿ ٤٤١ ﴾

يراعون في التحزيب أمرين:

- القدر الذي يحفظون
- أو الذي يركعون عنده في صلاة الليل.

فتحصل فيه:

ثلاثون جزءا

فيها ستون حزبا

ومئتان وأربعون ربعا

وأربع مئة وثمانون ثمنا.

وكان في بعض المصاحف الأردية التي نقرأ فيها قديما حرف عين -أي ركوع- وهي أقرب إلى مراعاة المعنى منها إلى الكم.

﴿ ٤٤٢ ﴾

ولما كان الأمر مبنيا على المصلحة ذكر بعض مشايخنا أن مما يعين على الضبط في الحفظ اعتماد التحزيب السابق، وأما عند قيام الليل فإن له أن يُقَسِّمَ السور الطوال خاصة إلى مقاطع يعتمدها لنفسه ويراعي فيها المعاني.

﴿ ٤٤٣ ﴾

فإذا أراد أن يقوم الليل:

بالبقرة قسمها على ست في ثلاث تسليمات.

أو بآل عمران ربّعها وجعلها في تسليمتين.. وهكذا إلى التوبة.

أو قام بيونس نصفها في تسليمة، ومثلها هود ويوسف.. إلى الكهف ..

ثم يجعل كل سورة في تسليمة إلى يس

ثم يبدأ يجمع السوريين والثلاث ويزيد كلما ارتقى في المفصل.

﴿ ٤٤٤ ﴾

وأفضل التحزيبات تحزيب الصحابة إلى سبعة أجزاء بالسور؛ لأمرين:

• لأن عادة النبي ﷺ الغالبة قراءة السور، وأما القراءة من أوساطها وأواخرها فنادر، وفي كراهيته بحث سيأتي.

• ولأن التحزيب المحدث تضمن الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده، كما في بداية الجزء الخامس، والثاني والعشرين.

﴿ ٤٤٥ ﴾

ومما أظن الكريم يعرفه أن المصاحف بل وكتب العلماء المتقدمين لم تكن معجمة بالنقط، ولا مشكولة بالحركات، وهذه صورة لأول سورة طه من قبلُ:



﴿ ٤٤٦ ﴾

فلما كثُرَ اللحن قام أبو الأسود الديلي بعلم علي رضي الله عنه فوضع نقاطا على أواخر الحروف تدل حركته، ثم لما كان الخليل بعدُ أعجمه بنقط الحروف، واستبدل النقاط بألف ممدودة للفتح، وياءٍ تحت الحرف للكسر، وواو صغيرة عليه للضم ..

﴿ ٤٤٧ ﴾

وهذه الإضافات كانت تحت النظر الفقهي، احترازا وحماية للقرآن، فمنهم من جوز ومنهم من كره، ثم استقر العمل عليها، إذ قصد بها الإعانة على ضبط القرآن، فهي من المصالح المرسلة، واضعوها من العلماء، ولم تخالف رسم الصحابة رضي الله عنهم.

﴿ ٤٤٨ ﴾

ثم حدث بعد أمةٍ زوائد أُخر، وهي قسمان:

قسم داخل النص القرآني:

كالألوان

وعلامات الوقوف

والتجويد

وخط السجدة

وقسم خارج عن الكلمات القرآنية:

كعلامة السجدات

ونوع السورة

ومعاني الكلمات

أو تفسير ميسر على طرته...

ومما يكره من الزيادات: دعاء الختم في آخره، وأسماء النساخ والطابعين.

﴿ ٤٤٩ ﴾

هذه التغريدات تزّاور بين شِرّةٍ وفترة فالمعذرة.. سأتوقف الآن وإني لست مكثر عليكم غدا إلا أن يشاء الله، ولقد صدق في وفيكم قوله ﷺ: مستريح ومستراح منه؛ لكن أحب أن تروا حتى نعود ترتيبا آخر للمصحف على حسب النزول، وفي بعضه خلاف لكنه قريب المعنى، ويسعف طالب العلم في تصور هذه القصة:

السور المكية

1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
العلق	ن	المزمل	المدثر	الفاتحة	المسد	التكوير	الأعلى	الليل	الفجر
11	12	13	14	15	16	17	18	19	20
الضحى	الشرح	العصر	العاديات	الكوثر	التكاثر	الماعون	الكافرون	الفيل	الفلق
21	22	23	24	25	26	27	28	29	30
الناس	الإخلاص	النجم	عبس	القدر	الشمس	البروج	التين	قريش	القارعة
31	32	33	34	35	36	37	38	39	40
القيامة	الهمزة	المرسلات	ق	البلد	الطارق	القمر	ص	الأعراف	الجن
41	42	43	44	45	46	47	48	49	50
يس	الفرقان	فاطر	مريم	طه	الواقعة	الشعراء	النمل	القصص	بني إسرائيل
51	52	53	54	55	56	57	58	59	60
يونس	هود	يوسف	الحجر	الأنعام	الصافات	لقمان	سبأ	الزمر	غافر
61	62	63	64	65	66	67	68	69	70
فصلت	الشورى	الزخرف	الدخان	الجاثية	الأحقاف	الذاريات	الغاشية	الكهف	النحل
71	72	73	74	75	76	77	78	79	80
نوح	ابراهيم	الأنبياء	المؤمنون	السجدة	الطور	الملك	الحاقة	المعارج	النبأ
81	82	83	84	85	86				
النازعات	الانفطار	الانشقاق	الروم	العنكبوت	المطففين				

السور المدنية

87	88	89	90	91	92	93	94	95	96
البقرة	الأنفال	آل عمران	الأحزاب	الممتحنة	النساء	الزلزلة	الحديد	محمد	الرعد
97	98	99	100	101	102	103	104	105	106
الرحمن	الإنسان	الطلاق	البينة	الحشر	النور	الحج	المنافقون	المجادلة	الحجرات
107	108	109	110	111	112	113	114		
التحريم	التغابن	الصف	الجمعة	الفتح	المائدة	براءة	النصر		

﴿ ٤٥٠ ﴾

نعود للقصة، ولا تتعجلوا طي سجلها ولا إسدال ستارها، فإنه قد يُرى قريبا وأراه بعيدا ، فلا تستكثروا شيئا على القرآن، واصبروا، وتذكروا:

﴿ لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ .

﴿ ٤٥١ ﴾

في مكتبة الكونغرس ٢٩ مليون كتاب، لكن القرآن العظيم:

أكثرُ كتابٍ:

حُفظ في الصدور، وطُرِّز بالذهب، وقرأه المتعلم والعامي، والمَلَك والجني، والبصير والكفيف، والصغير والكبير، والذكر والأنثى.

وأكثر كتابٍ:

بُكي معه، وتغني به، وتحدى، ونُسخ وطُبع، وتلي، واستشفي به ورقي بآياته.

﴿ ٤٥٢ ﴾

والقرآن أكثر كتابٍ:

ذكرا للأولين، والآخرين، والأنبياء، وأحوال الآخرة، والأمم السابقة، وتكرارا بلا ملل.

وأكثر كتابٍ:

قرئ في السماء والأرض، والدنيا والآخرة، وفي جميع القارات والدول، وفي المكبرات، وفي الصلوات، وفي مجامع الملايين، والحرمين والمساجد والأقصى، وفي المناسبات والعقود والأحكام.

﴿ ٤٥٣ ﴾

وأكثر كتابٍ حوى: بسامل، وفواصل، وسجعا، ووعدا ووعيدا، وقصصا.

وأكثر كتابٍ: فُسر وترجم، وحُكّم، وجُوِّد وشُكِّل ولوّن وأعرب، ومُدح وأُلف حوله ،وقرئ بالقراءات، وقراءته تجوز وقد تجب وقد تسن وقد تحرم وقد تكره، ولا يقرؤه جنب، ولا يمسه محدث.

وأكثر كتابٍ: منحت في دراساته الشهادات..

﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾.

﴿ ٤٥٤ ﴾

ففاخروا به، ولا تسأموا من مدارسته، ثم عودوا إلى فيوضاته على الفقهاء والقلوب، وانظروا كيف كان عاقبة المحسنين:

فمن مسارحهم في أحكام القرآن: معرفة نوعي سوره وآياته:

فالقرآن:

مكيٌ: نزل قبل الهجرة ولو خارج مكة،

ومدني: نزل بعد الهجرة ولو في مكة،

﴿ ٤٥٥ ﴾

والسور ١١٤ سورة:

المكية أكثر في العدد وهي ٨٦ سورة، وهي في الكم أكثر أيضا قريبة من ثلثي القرآن، والمدني ٢٨ سورة، على خلافٍ في بعضها..

ولضبط عددها تذكر آيات البقرة:

٢٨٦ آية

إن حذفت ٢ خرجت المكية ٨٦

وإن حذفت ٦ خرجت المدنية ٢٨.

﴿ ٤٥٦ ﴾

وفائدة التقسيم عند الفقهاء:

- معرفة تاريخ التشريع،
- وترتيب الأحكام،
- والناسخ والمنسوخ،
- وأن ترى البشرية عناية الله بكتابه...

﴿ ٤٥٧ ﴾

وهذه لطيفة في هذا:

جرير بن عبدالله رضي الله عنه بال ثم توضأ ومسح على خفيه، وقال: رأيت النبي ﷺ بال، ثم توضأ ومسح على خفيه.. رواه مسلم

قال إبراهيم النخعي:

كان يعجبهم -يعني مشايخه من الفقهاء- هذا الحديث لأن إسلام جرير، كان بعد نزول المائدة.

يعني فالمسح الذي في المائدة ليس منسوخا.

﴿ ٤٥٨ ﴾

وللحنابلة فرح يشبه هذا، فحين تفرد أحمد بالقول بقبول وصية الذمي على الوصية في السفر لآية المائدة: ﴿ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ ﴾ أي من غير المسلمين، ادعى المخالف أنها منسوخة بقوله: ﴿مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ والذمي غير مرضي؟

قال الحنابلة: هيهات آيتنا في المائدة رقم ١١٢ في النزول وآيتكم في البقرة!

﴿ ٤٥٩ ﴾

وإن أذنتم وأنتم تتابعون هذه الحركة القرآنية، أوقفوا مطيكم وخذوا نظرة على ديوان النسخ في قصة القرآن، ما هو؟ وكيف كان؟ وكم آية نسخت؟ ولِمَ النسخ ؟

وتذكروا: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾.

﴿ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿ ٤٦٠ ﴾

فالنسخ رفع حكمٍ ثابت بخطاب متأخر عنه، أو هو نقل العبيد إلى حكم جديد.

لماذا ؟

ابتلاء

أو تخفيف

أو تثبيت

أو تدرج في الحكم.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿ ٤٦١ ﴾

وهو قسمان:

• نسخ عام .. هذا واقع بالقرآن على كل كتاب وشريعة سابقة فقد جاء معلنا أنه قد هيمن وسيطر على ما سبقه وعلى الحياة، ولو كره المشركون.

• ونسخ خاص، وهو في القرآن والسنة، ويتنوع أنواعا:

نسخ قرآن بقرآن

وسنة بقرآن

وسنة بسنة

وقرآن بسنة متواترة

أو بآحاد

وفي وقوع الأخيرين خلاف.

﴿ ٤٦٢ ﴾

وكان القرآن ينزل وينسخ على ثلاثة أنواع:

• نسخ تلاوة وحكم كالذي في قول عائشة: كان في القرآن عشر رضعات محرمات نسخن بخمس.
• ونسخ تلاوة لا حكم؛ كآية كانت في رجم الزانيين المحصنين.
•ونسخ حكم لا تلاوة؛ كعدة المتوفى عنها:
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾.

﴿ ٤٦٣ ﴾

وينزل ويتنوع إلى نسخٍ:
إلى مساوٍ : كنسخ القبلة
أو أخف : كنسخ مصابرة الواحد للعشرة
أو أثقل : كتحريم الخمر
أو بلا بدل : كتقديم الصدقة عند المناجة.

وفي المراقي:
وينسخ الخف بما له ثقل .. وقد يجيء عاريا بلا بدل

﴿ ٤٦٤ ﴾

ولكلٍ أمثلة، وإنما أردت أن تعرفوا كيف أفاض القرآن على العلماء بعلومه وبركاته، وكيف كان أثر تمييز مكيه ومدنيه.

لكن هل تدرون كيف كان التمييز بلا فذلكة؟

كانوا يميزون بين المكي والمدني بأمرين:

- بالنص على وقت الحدث: كإقرأ، والمدثر، فقد تدثر ﷺ في مكة.
- أو بالأمارات القرآنية المبهرة:

﴿ ٤٦٥ ﴾

تنزهوا في هذه الروضة القرآنية والأمارات التي رتبوها:

الخطاب في السور والآيات المكية:

النداء فيها للناس

وعن المشركين،

وفي قضايا الاعتقاد،

وذكر قصص الأنبياء،

وبدء الخلق،

والسور فيها قصار،

وكل سورة فيها زجر بكلا مكية

وكل سورة افتتحت بحروف مقطعة عدا البقرة وآل عمران فهي مكية.

﴿ ٤٦٦ ﴾

ومن أمارات السور والآيات المدنية:

النداء فيها للمؤمنين، وذكرت فيها فلتات المنافقين، والحوار مع أهل الكتاب، ومراسيم: العبادات والمعاملات والحدود والقصاص والسياسة والحكم والإصلاح.

وعامة الأحكام الفقهية: كالجهاد والفرائض والنكاح والطلاق والأيمان والإيلاء والظهار...

﴿ ٤٦٧ ﴾

وقبل أن نطلق العنان خلوا بيننا وبين كلمة "سورة" :

من أطلقها على القطعة من القرآن ؟

وما الذي تعنيه ؟

أما الذي أطلقها فهو القرآن نفسه في مواضع كـ: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾، وجمعها سُوَرٌ، وسُورَاتٍ وَسُوَرَاتٍ، وأما مردّها فيعود إلى أحد معنيين:

﴿ ٤٦٨ ﴾

• من السور وهو البناء المرتفع سميت بذلك لأن من قرأها ارتفع من منزلة إلى منزلة، وأشرف على شيء لم يكن عنده، قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورةً .. ترى كل مَلْكٍ دونها يتذبذب

أي : منزلة شرف ارتفعت إليها عن منازل الملوك.

• وقيل مأخوذة من السؤر، وهو بقية القرآن؛ لأنها قطعة منه.

﴿ ٤٦٩ ﴾

إذا هبت رياحك فاغتنمها .. فعقبى كـل خافقةٍ سكـون

ثم لقد ورد الفقهاء ماء الفضائل فأدلى كل واحد منهم دلوه، فقال يا بشرى هذا الكلام .. ورتبوا فضائل السور والآيات وأحكامها، ثم مازالوا يقضون بكل واردة في محلها:

﴿ ٤٧٠ ﴾

فيذكرون حكم الفاتحة في الصلاة لإمام ومنفرد ومأموم.

ويفرقون بين السرية والجهرية.

والفريضة والنافلة

والصلاة المعهودة، وغيرها كالجنازة

وهل الفاتحة ركن في كل ركعة كرواية عندنا

أو في الصلاة كما عند الجمهور لحديث: "لا صلاة..

أوهي سنة لقوله: ﴿ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ ﴾

أوهي واجبة جمعا بين النصين.

خلافٌ.

﴿ ٤٧١ ﴾

ثم يفيضون حيث أفاضت الأدلة فيذكرون ما تسن قراءته من السور والآيات في الفريضة وفي النافلة،

وقدْر ما يقرأ،

وما يسن أن يقرأ به في المعينة:

كالجمعة

والعيدين

والاستسقاء

والكسوف

والوتر

وركعتي الطواف

وكيف كانت قراءته ﷺ وصوته، وتجويده ومده وقصره.

ومراعاة أحوال المأمومين.

﴿ ٤٧٢ ﴾

كل هذا في رحلة القرآن:

ثم يعرجون على ما يتحصن به المؤمن في الليل والنهار:

كالمنجية

والزمر

والإسراء

وآية الكرسي

والمعوذات

وأواخر البقرة

وآخر آل عمران سحرا

وأوائل الكهف من حفظها عصم من الدجال

والكهف في الجمعة.

﴿ ٤٧٣ ﴾

ثم لقد استغاث الفقيه في هذه الرحلة بالذي هو من شيعته من المحدِّثين، وتفحصوا أحاديث وكتب في فضائل كل سورة، وخلصوا نجيا بالصحيح ، وحكموا على عامتها بالضعف والوضع، حتى وإن تداولها إخوانهم المفسرون.

﴿ ٤٧٤ ﴾

وأظن الألباني -رحمه الله- كان ممن شارك في هذه الهيعة، وقبله ابن الجوزي ارتضع الحديث، وعبّ من التأويل قد ذكر في كتاب الموضوعات الأحاديث الموضوعة التي سردها الوضّاعون في فضائل السور.

وإن أردت التحقيق والفقه فَردْ إلى فضائل القرآن في البخاري، ومثل كتاب فضائل القرآن لابن كثير.

﴿ ٤٧٥ ﴾

ومن منازل الفقه القرآني:

الأحوال التي لا تجوز فيها قراءة القرآن أو تكره:

كحال الركوع

والسجود

وأثناء التشهد

وحال خروج الحيض

وحال النفاس

وأثناء قضاء الحاجة

أو خروج الريح

وحال اللغط في المجلس

والأماكن النجسة والقذرة

ويكره في الطواف عند بعض المالكية، والصواب الجواز.

﴿ ٤٧٦ ﴾

ومما أسعف الفقهاء به القراء أيضا:

ألا يمس المصحف إلا طاهر من الحدثين الأصغر والأكبر لجنابة أو حيض ونحوه، في قول عامة الفقهاء، وهو مذهب الأربعة، خلافا لأهل الظاهر، وبعض السلف في الحدث الأصغر، وللجماهير قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾، وفي حديث عمرو بن حزم المشهور: "لا يمسه إلا طاهر".

﴿ ٤٧٧ ﴾

وأجاب الظاهرية عن الآية أنها في اللوح المحفوظ، وأنها خبر عن الملائكة لا تعني المكلفين، والصواب الأول حتى ولو كانت الآية في الملائكة وفي اللوح المحفوظ، فإن القرآن نزل منه، والملائكة ممن يقتدى بهداهم، وهو من تعظيم كتاب الله، وتمييزه وتشريفه عن غيره من الكتب.

﴿ ٤٧٨ ﴾

وهنا أمر أود أن يتنبه له أمثالي من طلاب العلم:

بعض الخلاف كهذا يذكر في البحث الفقهي لكن ليس من الفقه أن يشاع عند العامة، بل الفقه أن يُبقى على ما وضعه الفقهاء من سياجات تحفظ الشريعة وتعظمها وتحتاط لها، نحن لا نؤثم الفاعل إذا فعل لكن لا نهوّنه عند العامة إبقاء على عظمة الكتاب.

﴿ ٤٧٩ ﴾

ونظير هذا:

القول بطهارة الخمر والمخدرات، ليس من فقه الفتوى أن يقال للعامة، وإنما يقال في الدرس، ويكفي أن تقول كما قال شيخ الإسلام، وكان شيخنا يقوله:

الأئمة الأربعة على نجاسته.. يكفي هذا، ولو لم تعتقده، فتكون صادقا وناصحا حتى لا يتساهل المكلف في حملها، أو تُعظّم إذا أُظهر القول بطهارتها.

﴿ ٤٨٠ ﴾

نظيره ولو استطردنا بعض أحكام المناسك، لو لم يعظمها العلماء ويرتبوا الجبران عند انتهاكها ما بقي منها شيء، كيف لو أفتي بالوقوف لحظة في عرفة، وأسقط عنه المبيت بمزدلفة ومنى، ورمي الجمرات، والسعي بحجة الخلاف الفقهي .. فأخذ بقوله ثم طاف وسافر، ماذا بقي من: "خذوا عني مناسككم".

﴿ ٤٨١ ﴾

وبهذا يتبين ضعف عقل من ينتسب للعلم وهو يعدد للعوام أسماء العلماء الذين لا يرون وجوب صلاة الجماعة، أو لا يرون وجوب تغطية المرأة لوجهها!

لو رآه لنفسه ما كان عليه بملوم، أما بسعيه هذا فما الذي يسعى إليه؟ أينصر الدين بتخذيل الناس عن الجماعة؟ كلا ما هو إلا الهوى أو يقول: ها أنا ذا!

﴿ ٤٨٢ ﴾

عودا إلى مس المحدث للمصحف: حيث يمكن أن يقال: إن بعض الفقهاء استثنى بعد المنع صورا:

كاليسير

وغلاف المصحف

وحمله بعلاقة أو في شنطة أو سجادة

وكتب التفسير

وقد كتب النبي ﷺ لهرقل كتابا فيه آية آل عمران.

﴿ ٤٨٣ ﴾

ومن منازل الفقه والفقهاء وقرائن هذا السياق، قراءة المحدث للقرآن، وهي مسألة غير مسألة مسه:

فأما غير المتوضيء فجائز إجماعا حكاه النووي وغيره، والأفضل أن يتطهر لها، وقد قام النبي ﷺ من نومه وباشر قراءة أواخر آل عمران كما في الصحيح فدل على الجواز، وإن كان في انتقاض طهارته بالنوم بحث.

﴿ ٤٨٤ ﴾

وأما الجنب فلا، ولا يعلم طلابه وهو جنب، وهو قول الأكثر؛ لحديث علي عند أبي داود وإن كان يُضعّف، لكن معه آثار عن الصحابة، ولأن رفعها بيده بالماء فإن تعذر تيمم وتلى.

وأما الحائض والنفاس فتقرءان على الصحيح؛ لعدم ورود مانع مع كثرة الحُيّض في عهده ﷺ، وكان ابن باز يفتي بهذا، وأظنه لابن تيمية.

﴿ ٤٨٥ ﴾

وجوّز بعض من يمنع الجنبَ أن يقرأ:

• الشيء اليسير كالآية

• والدعاء بما في القرآن بقصده، كقوله:

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، أو: سبحان الذي سخر لنا هذا ...

• أو أن يقرأ في رقية لنفسه لا لغيره.

﴿ ٤٨٦ ﴾

ولقد أتى الفقهاء على الصبيان يتعلمون القرآن فأمرهم الأكثر بالوضوء قبل مسه تعظيما للقرآن، ولعموم الأدلة، وندبوا معلميهم أن يُنَشِّؤهم على هذا، وبعضهم رخص لهم للتعليم خاصة لعدم التكليف، ولأجل البراءة، وإذا تعذر الوضوء يُرشد إلى تناوله من الغلاف دون صفحة الحروف ليربو على إجلاله.

﴿ ٤٨٧ ﴾

ثم قال أكثر الفقهاء للمسلمين:

لا يجوز لمسلم أن يُمَكِّن كافرا من مس المصحف ولو رُجي إسلامه، لنجاسة اعتقاده، ولأنه لا يؤتمن عليه، وإجلالا للقرآن، ولأن النبي ﷺ نهى عن السفر به إلى أرض العدو كما في الصحيح درءا لهذا.

﴿ ٤٨٨ ﴾

وعليه فلا يعمل الكافر في طباعته ولا نسخه وتجليده، ولا يوضع في يده للقسم، ولا يمسه صبي منهم يدرس في مدارس المسلمين، لكنهم رخصوا في أمور:

أن يُمكّن من مس ترجمته وتفسيره

أومس ورقة فيها آية لقصة هرقل

وقال بعضهم: إن قويت رغبته في الإسلام وطلب مصحفا يغتسل ويُمكّن، وعليه فلا ينكر على فاعله.

﴿ ٤٨٩ ﴾

ومن هذا القبيل أيضا:

- منعوا من السفر به إلى أرض الحرب، والحديث في الصحيح؛ خشية أن يغلبوا فيدنسوه أو يحرفوه.
- وبعضهم رخص فيه إذا كانت الغلبة للمسلمين، أو بعد أمن التحريف اليوم مع الطباعة والانتشار
- كذلك للمسلم استصحاب القرآن معه في بلاد الكفار غير المحاربة ليتعاهده إذا أمن عليه.

﴿ ٤٩٠ ﴾

وفي رحلتهم القرآنية هذه أتى الفقهاء على دقائق تدل على تعظيمهم لكتاب ربهم:

- كمنع شحنه مع العفش في الطائرة والقطار والحافلة، حتى لا يُعرّض للرمي والامتهان.
- ومنها: مد القدمين جهة حوامل المصاحف في المساجد، فإنه ليس من تعظيمه.
- ومنها: الاتكاء على دواليب المصاحف، أو تخطيه بالأرجل.

﴿ ٤٩١ ﴾

• ومنها: بل الإصبع بشيء من الريق لتقليب أوراقه كرهه شيخنا.

• ومنها: وضع الكتب الأخرى عليه.

• ومنها: وضعه على الأرض بين يدي المصلي إذا أراد أن يسجد، بل يرفع ولو قليلا، خاصة إذا وضعه قريبا من قدميه أو أقدام من أمامه، أو كان يتخطاه المارة، بل يرفعه ويعظمه ويطهره: ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾.

﴿ ٤٩٢ ﴾

• ومنها: ما يفعله بعضهم في الحرم يضعه مع أغراضه أو بين الأحذية؛ هذا منكر.

• ومنها: الدخول به في مكان قضاء الحاجة يحرم، ولو كان مستورا بلفافة ونحوها.

• فإن خاف سرقته أو امتهانه في الخارج وضعه في مكان آمن، فإلم يجد واضطر جاز أن يدخل به ويستره بساتر...

﴿ ٤٩٣ ﴾

• والأصل في كل هذا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾.

• ثم إن الكلام فيما سلف كله في المصحف، وأما الأجهزة الكفية ونحوها التي حُمِّل فيها القرآن الكريم فلا تأخذ هذا الحكم إلا أن تكون الشاشة مفتوحة على الآيات فيعظمه كالمصحف.

﴿ ٤٩٤ ﴾

ويمكن أن نزيد شيئا من التنبيه على من يضعه في السيارة ونحوها لدفع العين، فيقال: هذا أمر محدث، وهو من جنس التمائم، ويعرضه لعبث الشمس، وأما العين فتدفع بتلاوته والدعاء وذكر الركوب، لا بمجرد طرحه على شرفة القيادة، ومن عجائب بعضهم أن يضعه لدفع العين ثم يرفع مذياع سيارته بالغناء.

﴿ ٤٩٥ ﴾

ومن جنس هذا تعليقه أو بعض الآيات على الجدران والحوائط بقصد الزينة أو التبرك، خاصة في الحيطان التي قد يصلها الأذى فيه.

﴿ ٤٩٦ ﴾

ومن المحدثات التي تشبه هذا:

افتتاح الحفلات واللقاءات بشيء منه، هذا أيضا لا أصل له، ويقبح في المشاريع:

التي لا تُحَكّمه

أو يُعَقّب القرآن بشيء من المنكرات،

إنما القرآن بركة وهدى لمن حمله وتلاه وعمل واهتدى به، وجعله شعارا لا دثارا، وهذا هو الفارق الكبير بيننا وبين السلف.

﴿ ٤٩٧ ﴾

ومما يمكن ذكره أيضا:

- وضع المصاحف في مقاعد الطائرات التي يركبها الكفار هذا لا يجوز حماية له منهم.
- وأما مصليات المطارات:

فيستحب في البلاد المسلمة إذا كان المكان مناسبا.

وأما في مطارات غير المسلمين فإنه يعرضه للامتهان، خاصة أن هذه المصليات عامة للمسلمين واليهود والنصارى والبوذيين.

﴿ ٤٩٨ ﴾

ومما شارك به الفقهاء في هذا المضمار كلامهم في أحسن الهدي مع المصاحف القديمة، ونرشد قبلُ إلى ثلاثة أمور:

الأول: لا يجوز التعجل بالتصرف في المصاحف الموقوفة فإنه ظلم وتعد بلا موجب شرعي.

الثاني: السعي في إعادة تهيئة المصاحف أولى من إتلافها.

الثالث: إرسالها إلى الدول التي فيها فاقة للمصاحف.

﴿ ٤٩٩ ﴾

إذا لم يمكن هذا فهل تُخرّم أو تحرق أو تدفن ؟
بكل هذا قال الفقهاء، واختار أحمد -رحمه الله- إكرامه بالدفن كإكرام المؤمن به، وكانوا يدفنونها في المساجد، وإلا ففي مكان طاهر بعيدا عن الاستطراق.

﴿ ٥٠٠ ﴾

ولو حرّقَها جاز لفعل عثمان رضي الله عنه والصحابة متوافرون ولم ينكر، وأما إن اختار التخريم بالآلات الحديثة فلا بأس إذا أتت على كل الحروف.
وأما وضعه في الشقوق الجدارية فلا يستحب لأنه عرضة للسقوط والامتهان.

﴿ ٥٠١ ﴾

ما مثلي ومثل هذه السلسلة إلا كسابح في لجة البحر يود أن يصل منتهاه فيقذفه موجه إلى قعره، أشعر بالعجز ثم الحياء من القارئ الكريم أن يبقى على شاطئ هذه الحروف ينظر صيد البحر وطعامه لكنه أبطأ عليه .. لكن لم يعد إلا الصبر:

فإمّا حياة تسرّ الصديق ... وإمّا مماتٌ يغيظ العدى

﴿ ٥٠٢ ﴾

كل تغريدة أبقى ألوكها لعلها ترقى لمستوى شرف حروف القرآن لكن أعياني البيان، وصرت أتوب إلى الله من هذه الجرأة على كتابه، غير أني أخشى مغبة التولي يوم الزحف.. زحف الفتن، وغربة القرآن، ووحشة الزمان، وهذا الهجوم على اللهو والتغني بغير القرآن، فأقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولأهله.

﴿ ٥٠٣ ﴾

فأعود وأقول في فاتحة هذه المئة السادسة:

هل رأيتم كتابا نزل من السماء أو كتابا جُمّعَ في الأرض لقي هذه العناية من الله ثم من خلْقِهِ؛ علمائهم وعامتهم، مسلمهم وكافرهم، إنسهم وجنهم وملائكتهم، ؟...

﴿ ٥٠٤ ﴾

ألا يكفي هذا في الإعجاز، ودعوة غير المسلمين إلى القرآن والدخول في السلم كافة ؟، ألا يكفي في دعوة من ينتسب له من أهل الإسلام أن يوفوه حقه ويفاخروا به الدنيا، ويستغنوا بمزاميره عن حثالة الألحان، وبأحكامه عن أَقْذَاء الأنظمة؟

﴿ ٥٠٥ ﴾

القرآن عزيز يعز من أعزه، ويذل من عاداه، ولا يصلح إلا لمن أخذه بقوة، وفسره بالعمل:
كان في بعض رؤيا طويلة رآها النبي ﷺ وقُصت في البخاري:
أنه رأى رجلا كأنه يَثْلَغُ رأس آخر بصخرة كلما تَدَهْدهت الصخرةردها على رأسه.. قال في تأويله: فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة.!

﴿ ٥٠٦ ﴾

ما أشد هذه الكلمة على القلب الحي: "فيرفضه":

نعوذ بالله أن نأخذ القرآن:

فيرفضنا لسوء نوايانا،

أو نرفضه نحن بشقاوتنا فنشقى به وهو مصدر سعادتنا: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾...

﴿ ٥٠٧ ﴾

لكن هذه الرؤيا تسوق ركب الحديث إلى مائدةالفقهاء التي نمير منها، فقد أذاعوا أن نسيان القرآن نوعان:

- عارض معتاد لضعف ذاكرة أوتقدم سن فهذا لا يفرع عليه حكم؛ لأنه ليس من كسبه.
- ونسيان ناتج عن تهاون وتفريط؛ فأجمعوا أنه مصيبة على صاحبه تختلف باختلاف قدر المنسي وطول أمده، لكن اختلفوا:

﴿ ٥٠٨ ﴾

• فمنهم من عدّه ذنبا

• ومنهم من عدّه كبيرة لأجل الحديث المتقدم، وحديث: "من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله عز وجل يوم القيامة أجذم" رواه أبو داود.. لكن أهل الصنعة يضعفونه.. أو يحمل على من هجر الإيمان به والعمل.

﴿ ٥٠٩ ﴾

وهذه المسألة لها نافذة لو اطلعت منها لرأيت ثمّ رأيت رجلا جميلا:

إنه رجل -لا نعرفه لكن الله يعرفه- كان يصلي في مسجد النبي ﷺ ويترنم بالقرآن والنبي ﷺ وحبه عائشة رضي الله عنها يستمعان من الحجرة فقال ﷺ معلقا:

يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا، آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا..

﴿ ٥١٠ ﴾

وهذه الإطلالة كشفت للفقهاء أن النسيان العارض يقع لكن يدافع بالمذاكرة، وهو من الشيطان ليحزن الذين آمنوا، ولذا لا ينبغي للمؤمن أن ينسبه إلى نفسه، قال ﷺ:

"بئسما لأحدهم يقول: نسيت آية كيت وكيت، بل هو نُسِّيَ، استذكروا القرآن فلهو أشد تفصيا من صدور الرجال، من النعم بعقلها" متفق عليه.

﴿ ٥١١ ﴾

ندافع صوارف الليل والنهار والأهل والمجتمع، ثم نعود، ونعوذ بالله من ضياع ساعاتنا في غير رضاه، أو بعيدا عن ظلال كتابه، وكان القلم قد ند بنا شيئا عن مسائل تعظيم المصحف التي أوحى بها الفقهاء، لكن يمكن أن نعطف إليها:

﴿ ٥١٢ ﴾

فمما نبهوا على حكمه أربع مختلفٌ ألوانُها:

• توسد المصحف: محرم، وكذا كتب العلم الشرعي التي فيها شيء منه.

• تطييبه: يجوز تطييبه، بل استحبه بعضهم؛ لأن تطييبه من تعظيمه، والكعبة تطيب وهو أعظم منها ومن المساجد.

﴿ ٥١٣ ﴾

• تقبيله ووضعه على الصدر والقيام له:

فقيل بدعة، وقيل جائز، وقيل مستحب، والأمر ليس فيه سنة إلا ما روي عن عكرمة فلا ينكر على من فعله.

• والرابعة: تحليته:

فأما بالفضة فجائز لأنه من تعظيمه

وأما بالذهب فرُخِص فيه إن كان لامرأة.

﴿ ٥١٤ ﴾

ولاتكره قراءة القرآن على الدابة ولو الحمار إذ الراجح طهارته، وقد بوب البخاري في فضائل القرآن: باب القراءة على الدابة، وذكر حديث ابن مغفل: قال رأيت النبي ﷺ يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح. وقد قال تعالى:

﴿لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ ...﴾.

﴿ ٥١٥ ﴾

وكان ﷺ يوتر على بعيره، وقرين هذا في زماننا: لك أن تصلي في سيارتك وتقرأ القرآن، خاصة في السفر ويؤمي بركرعه وسجوده إذا أمن الطريق، وليس معه أطفال يشوشون عليه، وأدركت بعض المشايخ يفعله، خاصة إذا كان مسافرا وسيصل متعبا صلى ورده وأوتر في طريقه.

﴿ ٥١٦ ﴾

وكره بعض السلف قراءة القرآن في ثلاثة مواضع:

في الحمام،

وفي الحشوش،

وفي بيت الرحى وهي تدور، قالوا لئلا يعلو غير القرآن عليه، والحق يعلو ولا يعلى...

﴿ ٥١٧ ﴾

والحمام يعنون به مكان الاغتسال والبخار، ومثله المسابح اليوم ... خاصة مع عدم الاحتشام وستر العورة وكثرة اللغط فلا يتلو القرآن فيها.

وأما إذا كان يسبح في البحر فله أن يقرأ ورده كاملا فيه، وكنت أفعله أحيانا مع الأولاد، ولعل ماء البحر وخلقه تحدث أخبارها .

﴿ ٥١٨ ﴾

وهل يصلي في البحر؟

التنفل بابه واسع.

والمفترض إن علم من حاله أنه لن يصل البر إلا بعد خروج وقتها صلى منتصبا ما استطاع أو مستلقيا ويؤمي بركوعه وسجوده.. وهذا يطرأ في حوادث الغرق:

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا ...﴾.

﴿ ٥١٩ ﴾

والحشوش التي كرهوا تلاوته فيها هي الأماكن المستقذرة: يكرم القرآن أن يتلى فيها، ويشبهها اليوم حظائر البهائم، والمجازر لمن ينظر ذبيحته هل يقرأ فيها القرآن ؟ إن كان معتزلا مكان الذبح والسلخ فلا بأس.. وإلا فلا كالجزار فيها.

﴿ ٥٢٠ ﴾

ويقاس غير بيت رحى عليه مما كان مثله في الضجيج واللغط، ومنه اليوم:

الأسواق

والملاعب

والمطاعم

والمتنزهات

والمستشفى

وأندية اللياقة

سواء قرأ بنفسه أو أحضر القارئ، أو كان عن طريق المذياع وأجهزة التسجيل التي تشغل في الأسواق وسط دَوِيّ الناس يكره؛ إلا أن يستمعه بالسماعة الخاصة.

﴿ ٥٢١ ﴾

وهل يقرأ القرآن أو تشغل إذاعة القرآن في الأماكن التي فيها كفار كالمكاتب والشركات أو محالّ العمل؟

نعم إذا لم يكن لغط، وأُمن أن يتعرضوا للقرآن بالسب فلا بأس، ويحضرني هنا سنتان عن رسول الله ﷺ أولاهما بمكة والثانية بطيبة :

﴿ ٥٢٢ ﴾

عن ابن عباس في آية: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ :

قال: نزلت والنبي ﷺ متوار بمكة، فإذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال تعالى لنبيه: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ﴾ أي بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ﴿وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم.

﴿ ٥٢٣ ﴾

والثانية وكلاهما في الصحيحين:

لما ركب ﷺ حمارا، عليه إكاف تحته قطيفة فدكية، ليعود سعد بن عبادة في بني الحارث، وأردف وراءه أسامة، وذلك قبل وقعة بدر، حتى مر في مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود، إلى أن قال أسامة:

ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن.

﴿ ٥٢٤ ﴾

وذكرت قراءته ﷺ بالنجم يوم سجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس وهو في البخاري، وقراءته أوائل فصلت على عتبة بن ربيعة، وأظن لو تتبعنا هذا لكان أكثر من هذا.

﴿ ٥٢٥ ﴾

ومما يعرج عليه الفقهاء هنا ولا يقدح في تعظيمه: ما وقع بين الحبيب وحبيبه حين كانت تتدلل وتقول: " كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجري وأنا حائض، ثم يقرأ القرآن".

متفق عليه

وفيه: جواز قراءته متكئا ومضطجعا، وبالقرب من النجاسة بلا مماسة، وفيه تواضعه وحسن عشرته ﷺ مع الحائض خلافا لليهود.

﴿ ٥٢٦ ﴾

ومن مباحث هذا السياق: المنع من وضع صوت التالي بديلا عن نغمة الهاتف الجوال:

تعظيما للقرآن الذي إنما أُنزل: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾

وحتى لا يقع الاتصال وهو في الخلاء أومكان لغط،

أو يقطع الآية بالرد،

ونظيره وضع الدعاء،فإنه مكروه، فالدعاء عبادة: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةً﴾، وهذا لا يتحقق هنا.

﴿ ٥٢٧ ﴾

ومنه المنع على سبيل التحريم أو الكراهة من جعله بديلا عن الكلام، وله صورتان:

أقبحهما: ألا ينطق في محادثته إلا بالقرآن كما يحكى في بعض القصص.

الثانية: أن يتمثل به أحيانا كأن يستأذن عليه شخص فيقول: ادخلوها بسلام آمنين، أويشتبه عليه أمران أوأكثر فيقول: إن البقر تشابه علينا؛ فهذه أهون.

﴿ ٥٢٨ ﴾

ومما حذر منه الفقهاء: التطريب بالقرآن على صفة غناء الفساق ومقاماتهم، وعند البيهقي: "وإياكم ولحون أهل العشق"، وإنما يزين ويرتل بالتزام أحكام التجويد، وضبط مخارج الحروف، وفي الحديث: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به" متفق عليه، وفي مسلم: "ليس منامن لم يتغنّ بالقرآن".

﴿ ٥٢٩ ﴾

ومما أحدثه بعضهم ونبه عليه العلماء قراءة القرآن في:

المآتم،

أوعلى القبر،

فهذا لاأصل له، ولاينفع الميت فقد انقطع عمله إلا مما في قوله ﷺ: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلامن ثلاث:

صدقة جارية، أوعلم ينتفع به، أوولد صالح يدعو له" مسلم، ورخص بعضهم في إهداء القرب كحج وعمرة وهو المذهب.

﴿ ٥٣٠ ﴾

وإنما ورد قراءة سورة يس على المحتضر لا على القبر في حديث أبي داود: "اقْرَءُوا يس على موتاكم"، وهو حديث مشهور وفيه ضعف، لكن لا ينكر على من عمل به.

﴿ ٥٣١ ﴾

ومما كاشف به الفقهاء أيضا في هذه الرحلة : مسألة تنكيس القرآن، وهو في القسمة العقلية خمسة أنواع:

تنكيس حروف

وتنكيس كلمات

وتنكيس آيات

وتنكيس سورة

وتنكيس سور.

﴿ ٥٣٢ ﴾

فتنكيس الحروف محرم، وهي أن يعكس حروف الآية، بل لو فعله قاصدا التحريف أو الاستهزاء صار ردة والعياذ بالله، كأن يقرأ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: نيملاعلا بر هلل دمحلا.

الثانية: تنكيس الكلمات، وهو محرم أيضا كسابقه؛ كأن يقرأ: الناس برب أعوذ قل.

﴿ ٥٣٣ ﴾

الثالثة: تنكيس آيات، وهذا أيضا محرم؛ كأن يقرأ:

ولم يكن له كفوا أحد لم يلد ولم يولد الله الصمد قل هو الله أحد.

وهذه الصور الثلاث: تبطل بها الصلاة، قال ﷺ: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد". مسلم.

﴿ ٥٣٤ ﴾

الرابعة: تنكيس السورة، هذا مكروه، وهو أقرب إلى الحدث خاصة في قصار السور كأن يقرأ آخر السورة في الركعة الأولى وأولها في الثانية، لكن تصح الصلاة.

الخامسة: تنكيس السور وهذا مباح لكنه خلاف الأولى، وهو مكروه عندبعض الفقهاء خاصة في الفريضة،كأن يقرأ الضحى في الأولى، والليل في الثانية.

﴿ ٥٣٥ ﴾

من كره بناه على مخالفة الهدي الغالب لرسول الله ﷺ وترك ترتيب المصحف، واستدل على الجواز بتقديم النبي ﷺ النساء على آل عمران في صلاة الليل كما في حديث حذيفة في الصحيح.

﴿ ٥٣٦ ﴾

ومما رتبه المقسطون من الفقهاء وأئمة الدين: قول صدق الله العظيم بعد التلاوة، وهذا ذكر من الأذكار يؤجر عليه قائله، فإن الله تعالى يقول:

﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾.

وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾.

وقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾.

﴿ ٥٣٧ ﴾

لكن قوله له صورتان:

الأولى:

أن يقوله لعارض أو أحيانا، فهذا جائز، كما فعل ﷺ لمّا رأى الحسن والحسين يتعثران في قميصيهما وهو يخطب، نزل فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال:صدق الله: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. الترمذي

﴿ ٥٣٨ ﴾

الثانية: أن يلتزمه بعد كل تلاوة؛ فهذا محدث إضافي يجب تركه؛ إذ لم يكن ﷺ ولا أصحابه يفعلونه، لا بعد التلاوة ولا في دعاء الختم في الصلاة المحدث أيضا:

https://t.co/gNfsqBjI0i

﴿ ٥٣٩ ﴾

ماذا يقول إذن إذا أراد ختم التلاوة:

إن كان وحده سكت، أو انتقل إلى ذكر آخر، كما كان ﷺ يقرأ ثم يقوم ، أو يقرأ ثم يكبر ويركع. وإن كان يُقرأ عليه فيقول للقارئ: يكفي، أو يقول ما قاله النبي ﷺ لابن مسعود: "حسبك". متفق عليه.

﴿ ٥٤٠ ﴾

ومنها:

إمرار العين في المصحف عبادة، قال ابن مسعود: أديموا النظر في المصحف، وهو من تدبرالقرآن الذي يثاب عليه، لكن هناك أمران:

- أنه دون ثواب القراءة.

- ولا يعد تلاوة تصح به الصلاة حتى يحرك لسانه به، كما كان ﷺ يفعل: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾، وأكمل مراتب التلاوة: اجتماع القلب واللسان.

﴿ ٥٤١ ﴾

ومنها: إمامة من يلحن في قراءته:

إن كان إماما راتبا، فالواجب السعي في تغييره.

وإن كان إماما عارضا؛ فإن أقام الفاتحة ولم يلحن فيها لحنا يغير المعنى صحت وإلا فلا.

﴿ ٥٤٢ ﴾

ثم أتى الفقهاء على مسألة عظموه فيها، وهي:

حكم بيعه وتأجيره ورهنه، وفيه ثلاثة أقوال:

• التحريم وهو مشهور مذهب أحمد تعظيما لكلام الله، ولقول ابن عمر: وددت أن الأيدي تقطع في بيعه.

• والكراهة في رواية عن أحمد لما روي من ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم.

• والجواز على أصل الإباحة.

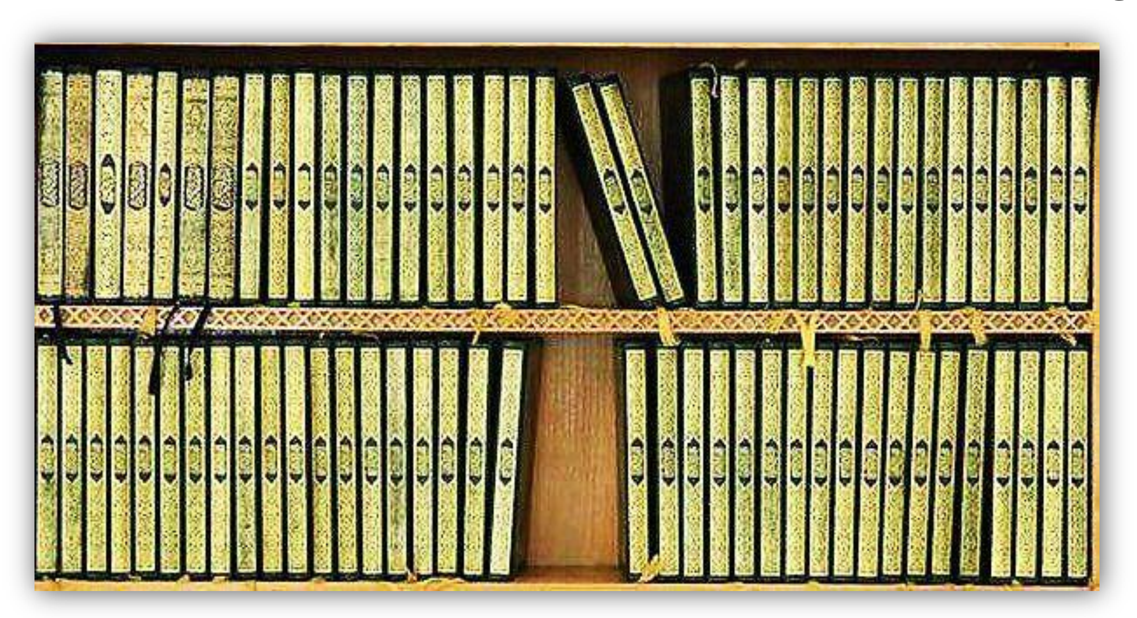
والورع تركه.

﴿ ٥٤٣ ﴾

وأما غير ذلك من المعاملة كإعارته ووقفه والوصية به وإرثه فجائز، لكن ننبه في الوقف على ثلاثة أخطاء:

الأول:

تكدس المصاحف، حيث أخذت المساجد زخرفها وازيّنت بها حتى صار يحول الحول عليها دون أن تُقرأ؛ لأن أعدادها أكثر مما يحتمله المسجد من المصلين، وهذا هدر كبير مع وجود الحاجة في الخارج.



﴿ ٥٤٤ ﴾

الخطأ الثاني:

تغيير المصاحف القديمة، أظن هذا تقدم، وأنه ظلم وتعدٍ على الواقف الأول مادام يُقرأ فيها فلا يجوز التصرف فيها، وهذا عام في جميع الأموال الوقفية كسجاد المساجد والمكيفات ونحوها.

﴿ ٥٤٥ ﴾

الثالث: نقل المصاحف، وهذا له ثلاث صور:

• أن ينقله من فاضل إلى مفضول، كنقله من الحرم إلى خارجه، أومن مكة إلى خارجها، أومن جامع إلى مسجد، أومن مسجد قديم إلى حديث، كل هذا لا يجوز.

• أوينقله من مفضول إلى فاضل؛ فجائز بشرط أن يتعطل نفعه في الأول.

• أومن مساوٍ لمساو؛ فجائز إن كان أنفع للواقف.

﴿ ٥٤٦ ﴾

وفي هذا السياق من قصة القرآن ننبه إخواننا المسلمين إلى أنه لا يمكن وقف المصاحف في الحرمين اليوم، لأن الدولة حرسها الله حريصة على نوعية المصاحف وعددها، ولا ينبغي للباعة حول الحرمين أن يغرروا بالحجاج والمعتمرين في هذا حتى يبينوا لهم.

﴿ ٥٤٧ ﴾

وثمة مسألة تشبه هذه، وأظن تقدم لها ذكر:

لم يكن السلف يطمعون في أخذ عوضٍ على كتابة القرآن وتعليمه، والمؤمن يتورع عن المتاجرة بدينه، سواء في تعليم القرآن أو الإمامة أوالحج أوغيرها، لقد لبث نوح عليه السلام ألف سنة يدعوإلى الله ويقول: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ﴾.

﴿ ٥٤٨ ﴾

ومن مباحث الفقه ومسائل التفضيل:

هل الأفضل القراءةمن المصحف أوعن ظهر قلب؟

قال الفقهاء: الأفضل ما حقق الخشوع وحضور القلب، فإن استويا:

• فقيل عن ظهر قلب لأنه هو فعله ﷺ.

• وقيل القراءة من المصحف أفضل، لاشتغال حاسة البصربالعبادة، وكان السلف ومنهم أحمد يعجبهم النظر في المصحف.

﴿ ٥٤٩ ﴾

ومما عرضه الفقهاء في باحة القرآن وأهله:

الحلف على المصحف، وهو جائز لكن ليس له أصل يعتمد عليه، وإنما نقله الشافعي عن بعض القضاة.. يذكرونه في كتاب القضاء، باب تغليظ الأيمان، فيغلظون به، ويغلظون بالمكان كالمسجد، والزمان كبعد العصر، والحال كأن يكون واقفا، والصيغة: كوالله الذي لاإله إلاهو.

﴿ ٥٥٠ ﴾

• وشرط القسم على المصحف أن يكون الحالف طاهرا.

• ولا يجوز أن يحلف على غيره من الكتب التي قد حرفت كالتوراة.

• وإن كانت اليمين في خصومة فالكذب فيها كبيرة عظيمة، وهي الغموس.

• ولو حلف على المصحف يمينا وأراد أن يتحللها جاز، ويكفر كفارة يمين.

﴿ ٥٥١ ﴾

ومن المسائل:

الحلف بالمصحف، فإن قصد الحلف بالمخلوق من الورق والكاغد فلايجوز، قال ﷺ: "من حلف بغيرالله فقد كفر أو أشرك" الترمذي، وإن قصد الحلف بكلام الله وهو الغالب فجائز؛ لأن كلامه صفة من صفاته، وكان بعض السلف يفعله، ولم يكره أحمد، لكن لا يجوز أن يحلف بالتوراة ونحوها من الكتب التي حرفت.

﴿ ٥٥٢ ﴾

ومما نصح الفقهاء به القرآن:

إيجاب كتابته بالرسم العثماني حتى ولو خالف قواعد الإملاء الحديثة، كما في مثل: "الصلوة ، والسموات، الربوا" وهو أمر مجمع عليه في كتابة المصاحف، وفيه قرار من هيئة كبار العلماء، والمجمع الفقهي، وهو الذي ينبغي أن يلتزمه المؤلفون وطلاب الدراسات العليا في رسائلهم.

﴿ ٥٥٣ ﴾

ويجوز عندهم الإسرار والجهر بقراءة القرآن، والأفضل ما معه خشوع وحضور قلب، وشرط الجهر عدم الأذية، أو التشويش على المصلين ونحوهم، قال ﷺ: "ياأيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضكم على بعض بالقراءة فتؤذوا المؤمنين".

وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾.

﴿ ٥٥٤ ﴾

ويجوز عندهم أيضا بلا كراهة أن يقال: سورة البقرة، وسورة العنكبوت...

وقال بعض السلف: يُكره، بل يُقال: السورة التي تُذكر فيها البقرة..

وقد بوب البخاري في صحيحه بابًا فقال: "باب من لم ير بأسا أن يقول: سورة البقرة، وسورة كذا وكذا".. وذكر أحاديث تدل على الجواز، وهو قول جماهير العلماء.

﴿ ٥٥٥ ﴾

ويجوز قطع القراءة لعارض، كحاجة له، أو رد على الجوال، والأفضل أن يتم الآية:

قال نافع: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه، فأخذت عليه يوما، فقرأ سورة البقرة، حتى انتهى إلى مكان، قال: تدري فيم أنزلت؟ قلت: لا، قال: أنزلت في كذا وكذا، ثم مضى. البخاري.

﴿ ٥٥٦ ﴾

وأنصح إخواني بعدم استصحاب الجوال في المسجد أو مكان القراءة، فإنه من كمال العقل وتمام التوفيق، فكم من مريد للقراءة يتهيأ لها ثم يصرفه اتصال أو رسالة تافهة يسترسل معها، ثم يقوم دون أن يقرأ شيئا، وهذا ضرب من الحرمان.

﴿ ٥٥٧ ﴾

والجاد الموفق لا يمكن أن يُساوم على ثلاث:

- حزبه اليومي من القرآن.
- وحزبه من صلاة الليل.
- ووقت مراجعة العلم ودروس أهله.

وعند أبي داود في حديث أوس الثقفي أن النبي ﷺ أبطأ عليهم قال: "فقلنا لقد أبطأت عنا الليلة قال ﷺ: "إنه طرأ علي جزئي من القرآن فكرهت أن أجيء حتى أتمه".

﴿ ٥٥٨ ﴾

والأولى لمن أراد القراءة أن يتناول المصحف بنفسه من رفّه، ويستغني عن سؤال غيره، فقومته ورجعته عبادة، وهو أعز لنفسه، ولقد بايع الصحابة رسول الله ﷺ على ألا يسألوا الناس شيئا فكان أحدهم يسقط السوط من يديه وهو على فرسه فينزل لأخذه دون أن يسأل غيره مناولته: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

﴿ ٥٥٩ ﴾

وإذا قطع القراءة ثم عاد لها فهل يعيد الاستعاذة ؟

نعم يعيد في حالتين:

- إذا طال الفصل.
- أو قطع يريد الترك والإنصراف ثم عنّ له أن يرجع.

﴿ ٥٦٠ ﴾

ويستحب أن يقطع القراءة لخمسٍ:

• للسلام إن كان يقرأ ماشيا ومرّ على قوم.

• أو لصلاة الراتبة أو بين الأذان والإقامة.

• أو لتشميت عاطس.

• أو إجابة مؤذن.

• أو نصح مسلم.

﴿ ٥٦١ ﴾

ويجب أن يقطع التلاوة لخمسٍ :

• لرد سلام إن سُلِّم عليه وحده، ولا يكتفي بالإشارة.

• ولإقامة المفروضة.

• أو أمر بمعروف.

• أو نهي عن منكر.

• أو دعوة والدة أو والد.

ويحرم قطعها بكلام محرم وفاحش

لما فيه من ترك إجلال المصحف.

﴿ ٥٦٢ ﴾

والاستعاذة أجمعوا أنها ليست من القرآن، وهي سنة مؤكدة في قول جماهير الفقهاء، عند ابتداء التلاوة في الصلاة وخارجها، في الفاتحة وغيرها، وقال بعض السلف تجب للأمر بها في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ﴾، لكنه للندب عند الأكثر؛ لأن القراءة لا تجب، ولأنه ﷺ لم يذكرها في حديث المسيء.

﴿ ٥٦٣ ﴾

ومحلها في الصلاة في أول ركعة، وإن استعاذ في كل ركعة فلا حرج.

ويسر بها غالبا إلا إذا أراد التعليم.

وصيغتها كما في الآية، أو يتعوذ بقوله: "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه"، فقد كان ﷺ يتعوذ بها إذا قام من الليل. رواه أبو داود وصححه الألباني.

﴿ ٥٦٤ ﴾

ويجوز في الاستعاذة أربعة أوجه مع البسملة والسورة:

- قطع الجميع: يستعيذ ثم يبسمل ثم يبدأ السورة.
- وصل الجميع: يستعيذ ويبسمل ويشرع في السورة.
- قطع الاستعاذة: يستعيذ ثم يبسمل ويشرع في السورة.
- وصل الاستعاذة والبسملة فقط ثم يشرع في السورة.

﴿ ٥٦٥ ﴾

وفي وصل سورة بسورة مع البسملة أربعة أوجه:

- قطع الجميع: ينهي السورة ثم يستعيذ ثم يبسمل ثم يشرع في السورة.
- وصل الجميع: يصل آخرالسورة بالاستعاذة والبسملة وأول السورة.
- قطع السورة الأولى ثم يصل الاستعاذة والبسملة والسورة.
- وصل السورة بالاستعاذة والبسملة ويقطع ثم يشرع في السورة، وهذا ممنوع.

﴿ ٥٦٦ ﴾

وبين الأنفال والتوبة ثلاثة أوجه بلا بسملة:

• القطع: فيقف على (عليم) من الأنفال ثم يبدأ:براءة.

• السكت: بعد عليم بلا نفس، ثمّ الابتداء بأوّل براءة.

• الوصل: بصل (عليم) بأوّل سورة (براءة)، بالإقلاب.

قال بعضهم:

وبين الأنفال وتوبةٍ بلا .... بسملة قفاً أو اسكت أو صِلا

﴿ ٥٦٧ ﴾

والبسملة تستحب في موضعين:

• عند ابتداء السور عدى التوبة.

• وعند ابتداء القراءة من أوساط السور ولو من التوبة على الصحيح.

ومهما تصلها أو بدأت براءة ... لتنزيلها بالسيف لست مبسملا

ولا بد منها في ابتدائك سورة ... سواها وفي الأجزاء خير من تلا

وقوله: سواها أي التوبة.

﴿ ٥٦٨ ﴾

وتجب البسملة عند بعضهم في قراءة الفاتحة لأنها منها، والصواب أنها آية لكنها ليست منها لحديث: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾....

فبدأ بالحمد ولم يذكرها.

وفيها خلاف كبير لا تطيل بذكره.

﴿ ٥٦٩ ﴾

هذه الحركة الفقهية العظيمة والدقائق التي صاحبت قصة القرآن تدل على عظمته، وعلى حفظ الله له، وإن في تضاعيف كتبهم ما يُحار فيها، وتقصر بسطة مثلي أن يحيط بها، وليس المراد آحاد المسائل فهي مبسوطة في مواضعها لكن لنعلم كيف كانت هذه الحركة مذهلة، ولولا خشية الإملال ولكن نسايس النفوس.

﴿ ٥٧٠ ﴾

فإن في آداب التلاوة وتعلم القرآن ألا يُقدِم عليه إلا مع انبساط الروح، قال ﷺ: "اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه". متفق عليه

﴿ ٥٧١ ﴾

وهنا يمكن أن يقال شيء في تعليم الأولاد القرآن:

أنه لا يستحب إكراههم على تعلمه،والالتحاق بحلقاته فإن لهذا ارتدادا سيئا على قلوبهم ولو بعد حين، ومثله ضربهم في الحلقة على عدم الحفظ، ويصلح أن نذكر حديث ابن مسعود:كان النبي ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا. متفق عليه.

﴿ ٥٧٢ ﴾

وأود لمن يحب التصدر أن يتبصر قول ابن عباس لأحد تلاميذه:

حدِّث الناس كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاث مرار، ولا تمل الناس هذا القرآن، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم، فتقص عليهم، فتقطع عليهم حديثهم فتملهم، ولكن أنصت، فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه... البخاري

﴿ ٥٧٣ ﴾

لا بأس، أخذنا جانبا عن جفاف المسائل الفقهية لكن نعود إلى بعضها تارة أخرى، فإن معينها لم ينضب بعد، ولا زالت معارف القرآن تفجر عيونا هنا وهناك في هذه القصة ..

﴿ ٥٧٤ ﴾

فمن ذلك مسألة كان ذِكْرُها عند ذكر حكم بيع المصحف أولى لكنها فاتت فنستدركها هنا:

هل يصح أن يكون القرآن مهرا في عقد النكاح؟

وهل في نصوص القرآن مايمنع؟

فإن الفقهاء حلّقوا بنا مرة ليرونا من علوٍّ ما لا يقع تحت نظر أمثالي من الطلاب وأهل القرآن الذين لايدركون من فقهه إلا بعض الرسوم:

﴿ ٥٧٥ ﴾

والجواب: هناك ثلاث صور في هذا:

أولها: أن يدفع لها مصحفا مهرا، فالذي يجيز بيعه يجيز جعله مهرا، ومن منع من بيع المصحف كمذهبنا يمنع هنا، لأنه ليس مالا ولا متمولا عندهم، والمال عين أو منفعة، وأما أين ذكر المال في الصداق في القرآن ؟ ففي قوله سبحانه :

﴿أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم﴾.

﴿ ٥٧٦ ﴾

الصورة الثانية: أن تقول: مهري أن تحفظ القرآن.. فهذه منفعة لكنها للزوج وليس متقومة للزوجة فلا يصح أيضا في قول أكثرهم.

﴿ ٥٧٧ ﴾

الثالثة: أن يجعل تعليمها القرآن أو بعضه هو مهرها، فالجمهور على المنع للآية السابقة؛ ولقوله: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾، ولأن تعليمه قربة لايقصد بها إلا الله، وقال الشافعية وأحمد في رواية يصح؛ لقوله ﷺ: "ملكتكها بمامعك من القرآن"، والجمهور قالوا: حادثة عين، أوهي لمن ليس معه ولوخاتم حديد.

﴿ ٥٧٨ ﴾

ومن الفقه القرآني الذي يذكرون:

القراءة من المصحف في الصلاة ؟

أما في الفريضة فيكره تجنبا لكثرة الحركة، وأما في النافلة فالأمر واسع، وقد روي أنه كان لعائشة عبد يؤمها في المصحف.

وقال الزهري: كان خيارنا يقرءون في المصاحف.

والأولى أن يجعله على حامل قريب فإذا احتاج قلب الورقة قلبها.

﴿ ٥٧٩ ﴾

ثم خذوا بين مسائل الفقه هذا المشهد القرآني للنبي ﷺ وروِّحوا به عن أنفسكم:

مشهد يصوره القارئ الفذ ابن مسعود، وفيه شيء من الفقه للإمام وللمنفرد أيضا إذا أراد أن يتخير مايقرأ من القرآن، يقول:

"لقد عرفت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرن بينهن، فذكر عشرين سورة من المفصل، سورتين في كل ركعة".

﴿ ٥٨٠ ﴾

النظائر: أي السور المتشابهة في معانيها ومواعظها أو أحكامها، كالتكوير والانفطار، والقمر والحاقة في ذكر أهوال يوم القيامة.

وليس هذا الذي يعنينا الآن، لكن بعض المشاهد كاشفة لقلة علمنا وضعف تعبدنا كهذا المشهد .. من منا يقرن هذه السور، فيقرأ السورتين في ركعة:

﴿ ٥٨١ ﴾

فصلها في رواية السنن:

الرحمن والنجم في ركعة،

والقمر والحاقة في ركعة،

والطور والذاريات في ركعة،

وإذا وقعت ونون في ركعة،

والمعارج والنازعات في ركعة،

والمطففين وعبس في ركعة،

والمدثر والمزمل في ركعة،

وهل أتى والقيامة في ركعة،

وعم والمرسلات في ركعة،

والدخان والتكوير في ركعة.

﴿ ٥٨٢ ﴾

وهذا الإقران هل يعني به ابن مسعود في صلاة الليل أو في الفريضة أيضا ؟

الجواب محتمل، لقد كان يقرأ بمثلها في الفريضة، بل قرأ بما هو أطول، وإذا فعل لم يكن مطولا؛ لكن صار فينا ضعف .. فإن هذه النظائر قريبة من قراءة ألم تنزيل وهل أتى في فجر الجمعة ..

﴿ ٥٨٣ ﴾

بعض الأئمة والمأمومين أخذوا حديث معاذ رضي الله عنه: أفتان أنت يا معاذ .. أخذوه نُصبا يعلقون عليه الهوى في العجلة .. صلاة أكثر الناس اليوم لو صدقنا مع أنفسنا لا تشبه صلاة النبي ﷺ لا في طولها ولا في روحها.. لكن نتعامى ونتعامى ونداقع سطوة المأمومين بحديث معاذ ...

﴿ ٥٨٤ ﴾

وأنا لا أدعو إلى منازعة المأمومين ولا إلحاق المشقة بهم، بل يتخولهم ويسدد ويقارب، خاصة من لم يكن له مزمار ترتاح له الأسماع، ولكن أريد أن نعرف قدر أنفسنا.

﴿ ٥٨٥ ﴾

وإذا كان في هذه الحروف فسحة فإني أهاتف بعض الأئمة الذين لا أصوات لهم أن يتقوا الله في أنفسهم ويعودوا القهقرى عن المحراب ويقدموا من هو أندى منهم صوتا، فإن من أبغضه الناس لدينه أو لدنياه لا تجاوز صلاته أذنيه كما عند الترمذي.

﴿ ٥٨٦ ﴾

وإن كانت طمعته في راتب الإمامة شديدة فينيب عنه من يرتاح له المأمومون ويتفرغ هو لعدّ راتبه... لقد ذكرت قبل مدة إماما لا يرتاح لصوته إنسٌ ولا جان واشتكاه خمسون من جماعة المسجد، لكنه صار عمودا في المحراب وخشبة من خشب المنبر، وكان حقه أن يذوب من الاستحياء لكن نسأل الله العافية.

﴿ ٥٨٧ ﴾

لونبقى قليلا في ريف السنة والسِيَر نُجّمُ أرواحنا.. سأنقل الكرام إلى مَرأى مُونِق لاثنين من الصحابة تغرّبا في بعثة رسمية، بعثهما ﷺ إلى اليمن:

أبوموسى عبدالله بن قيس، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما، كلٌّ منهما على مخلاف، ثم تزاورا:

فكيف كان اللقاء ؟

وماهي مائدة الحوار؟

وكيف تذوقا الحديث؟

﴿ ٥٨٨ ﴾

لمّا التقيا تذاكراشيئا عظيما في حساباتهم لا في حسابات عصرنا :

تذاكرا: تلاوة القرآن وقيام الليل، فقال معاذ:

ياعبدالله، كيف تقرأ القرآن؟

قال: أتفوقه تفوقا.

قال أبوموسى: فكيف تقرأ أنت يامعاذ؟

قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ماكتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي.

﴿ ٥٨٩ ﴾

سأترككم تعيشون مع هذا الحدث القرآني كيف شئتم، وإن كنتم تعجبون من اهتمامهم بالقرآن؟ فإني أعجب أيضا من حسن الهدي، وفصاحة الجواب، وفخامة المفردات التي استوقفت حتى سيبويه: اتفوقه تفوقا .. يعني ألازمه ملازمة، ليلا ونهارا، أتلوه متلذذا على مهل.

﴿ ٥٩٠ ﴾

نختم مسائل الفقه القرآني بعودة عجلى على القراءات.. دعا إليها أن أحد الأئمة صلى بالناس الجمعة بالجمعة والمنافقون تطبيقا للسنة، وقرأهما برواية قالون عن نافع، فكأن أحد الجهال استنكر هذا فقلت لعله وأمثاله يقرأون هذه الحروف:

﴿ ٥٩١ ﴾

أظن ذكرنا شيئا من هذا في أوائل هذه القصة، لكن لا بأس أن نقول فيها قولا يتبصر به طلاب العلم وأهل القراءات حتى يعذر بعضهم بعضا، وينزلوا المسائل منازلها، فإن الإنسان عدو ما جهل.. وللقراء مذاهب تختلف شيئا عن مذاهب الفقهاء، فمذاهب القراء أضيق احتياطا للصنعة، ومذاهب الفقهاء أوسع لسعة الفقه.

﴿ ٥٩٢ ﴾

فأما القراءات المتواترة فإنها كلها حق، للمؤمن أن يقرأ بها في صلاته وخارجها، ولم يتنازع علماء الإسلام المتبوعون من السلف والأئمة كما قال شيخ الإسلام: أنه لايتعين أن يقرأ بقراءة معينة.. صحيح أن الذي عليه العمل ترك التنوع عند التشوش لكن البحث في النظر الفقهي، والإنكار على المُنْكِر.

﴿ ٥٩٣ ﴾

وقد بين رحمه الله هو غيره أنه ليس لأحد أن ينكر على من قرأ بأي قراءة ثابتة مادام ضابطا لها، سواء في الصلاة أوخارجها؛ لأن الاختلاف بينها كما تقدم اختلاف تنوع، كالاختلاف بين أنواع استفتاحات الصلاة، وأنواع صفة الآذان والإقامة، وصفة صلاة الخوف، وغير ذلك، كله حسن يشرع العمل به لمن علمه.

﴿ ٥٩٤ ﴾

ومما قاله رحمه الله:

ليس لمن لم يعلم أن ينكر على من علم، ولا أن يخالفه، كما قال النبي ﷺ: "لا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا، فهلكوا ".

وهذا كله كما قلنا في القراءات المتواترة، وأما الشاذة الخارجة عن رسم المصحف العثماني، فقسمان:

﴿ ٥٩٥ ﴾

قسم لم يصح إسناده فهذا لايقرأ به إجماعا.

وقسم صح إسناده ولم يبلغ التواتر كقراءة ابن مسعود: "فصيام ثلاثة أيام متتابعات"، فهل يقرأ بها ؟

قولان للعلماء، هما روايتان عن مالك وأحمد:

الأولى: يجوز؛ لأن الصحابة والتابعين، قرأوا بهذه الحروف في الصلاة، وهذا مما توسع فيه الفقهاءدون القراء.

﴿ ٥٩٦ ﴾

والثانية وهي الصواب:

لا يجوز ذلك، وهو قول أكثر العلماء لعدم التواتر، وثبوتها يُدفع بأنها منسوخة بالعرضة الأخيرة التي كان يقرأ بها زيد، وجُمع المصحف عليها بإجماع الصحابة رضي الله عنهم.

وثمة قول ثالث: لا يقرأ بها في القراءة الواجبة -وهي الفاتحة مع القدرة عليها- لعدم القطع بقرآنيتها.

﴿ ٥٩٧ ﴾

وأما تنويع القراءات في الصلاة فله ثلاث مراتب:

الأولى:أن يقرأ بواحدة من العشر في جميع الصلاة؛ كقراءة نافع أو ابن كثير فهذا لا نزاع في جوازه وتقدم.

الثانية: أن يقرأ في الركعة الثانية بغير ما قرأ به في الأولى، وهذا جائز في قول كثير من الفقهاء، سواء غير الرواية أوغير القراءة برأسها.

﴿ ٥٩٨ ﴾

الثالثة:

أن يقرأ في الركعة أو السورة الواحدة كالفاتحة بالتلفيق والتركيب بين روايتين أو أكثر من قراءتين، فهذا يمنعه أئمة القراءات دفعا لمفسدة التبديل والخلط، وجوزه طائفة من الفقهاء وهو اختيار ابن العربي والنووي وشيخ الإسلام وغيرهم، لأنه كله من عند الله، سواء في الفرض أوالنفل.

﴿ ٥٩٩ ﴾

وهذا القول أقرب إلى اليسر الذي أشار إليه قوله ﷺ: "فاقرأوا ما تيسر"، لكن قيده النووي في التبيان، وابن الجزري وغيرهما بشرط ألا يختل المعنى عند التلفيق على وجه لا يصح في اللغة كأن يقرأ: (وكفّلَها زكَريّا) بتشديد الأولى ورفع زكريا، أو العكس يخفف وينصب، والصواب إن خفف رفع، أو شدد نصب.

﴿ ٦٠٠ ﴾

ومن الأمثلة التي قد يقع فيها الخطأ بسبب التلفيق:

• لو قرأ: (فتلقى آدمُ من ربه كلماتٌ)بالرفع فيهما؛ آخذا رفع آدم من قراءة الجمهور ورفع كلمات من ابن كثير، اختل المعنى ولم يستقم في اللغة، وكذا بالنصب فيهما.

• وفي قوله: (ماننزل الملائكةَ إلا بالحق)

إن قرأ: (ماتُنزلُ) تعين رفع الملائكة.

﴿ ٦٠١ ﴾

• وإن قرأ: (فيمسك التي قضى عليهاالموت) نصب الموت حتما، وإن قرأ بالبناء لما لم يسم فاعله: (قُضي)، رفع (الموت) حتما.

• وإن قرأ: (فأصبحوا لاترى إلامساكنهم) بضمير الخطاب نصب (مساكنَهم) حتما، وإن قرأ: (يُرى)، تعين رفع (مساكنُهم).

• وإن قرأ: (أفمن أسسَ بنيانَهُ) أُسِسَ تعين رفع (بنيانُهُ).. وهكذا.

﴿ ٦٠٢ ﴾

لكن يمكن أن يزاد قيدان آخران عند القول بالجواز :

الأول: أن يكون التلفيق في التلاوة لا في الرواية حتى تبقى القراءات منضبطة على أصل وضعها .

الثاني: أن يكون ذلك للمنفرد، لا لإمام الجماعة؛ فإن دفع مفسدة التشويش مقدم على ما يرجى من المصلحة، وهذا الذي عليه العمل.

﴿ ٦٠٣ ﴾

بقي من فقه هذه المسألة مرتبة من مراتب التنويع في القراءات وهي مرتبة الجمع، بأن يقرأ كل آية بعدد القراءات التي فيها قبل أن ينتقل إلى التي بعدها، وهذه لها حالتان :

• الجمع لأجل الحفظ والدرس فهو من الاجتهاد الذي فعله طوائف من القراء،كأن يقرأ: (ملك يوم الدين) ثم يعود فيقرأ: (مالك).

﴿ ٦٠٤ ﴾

الحالة الثانية: أن يفعله في الصلاة أو في التلاوة، فهذا لا يجوز، بل قال شيخ الإسلام: هو بدعة مكروهة، وهذه الصورة هي التي وصفها رحمه الله بالبدعة لا كما ظنه بعض الباحثين أنه يعني مجرد تنويع القراءات في الصلاة التي ذكرناه في المراتب السابقة، والله أعلم.

﴿ ٦٠٥ ﴾

كنت أود أن أرد القلم إلى الدواة وأكتفي بهذا القدر، وتكون هذه الحروف بعدد صفحات مصحف المدينة، لكن ثمار القرآن باقية، وقطوفها دانية، وأحب أيضا أن أهز نخلة الأفكار لعلها تساقط ما يكون به وفاء لهذا الكتاب العزيز، ونستكمل به الثواب والفائدة، وأسأل المولى أن يجعلها بلسما لمن كتبهاوتابعها.

﴿ ٦٠٦ ﴾

وأما الفقه فتكفي هذه القلادة إلا أن يجول شيء لا قِبل لنا بدفعه، لكن نكتب جُملا عن حديث القرآن عن القرآن، وموضوعاته، وعن هدايات الأجزاء والسور، ومناسباتها والآيات، ومعلومات متفرقات، وما يفتح الله به.

﴿ ٦٠٧ ﴾

والقرآن لا يشقى به جليس يصدق معه:

• فالماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة

• والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران.

متفق عليه

﴿ ٦٠٨ ﴾

وكيف يشقى به والكرم يفيض من أطرافه، فهو كلام كريم:

﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾

من كريم:

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾.

﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾

نزل به كريم

على كريم

﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾

والماهر به مع السفرة الكرام.

﴿ ٦٠٩ ﴾

لكن قبل الإيغال فيما ذُكر أُحرِّج على أهل القرآن أن يَقْدرُوه قدره بأمرين:

بضبطه

والعمل به

فإن آخذي القرآن أصناف:

صنف هم كذلك، وهم الصحابة وتابعيهم، وأئمة القراءات، ورواتهم ومن أخذ عنهم، وهؤلاءهم خير البرية، الذين استلموا وثيقة النجاح مختومة بخاتم: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه".

﴿ ٦١٠ ﴾

• وصنفٌ منافقون يقرأونه ويُظهرون أنهم من أهله وهو بريء منهم.

• وصنفٌ أهل أهواء، يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ فجَزّؤوه أجزاءً، وآمنوا ببعضه وكفروا ببعض، فلا يأخذون منه إلا ما أُشربت أهواؤهم.

• وصنفٌ لا يلتفتون إليه بكلياتهم.

﴿ ٦١١ ﴾

ولقد شهّرَ رسول الله ﷺ ببعض هؤلاء، وضرب لهم الأمثال، بل صاروا في المثل السائر، فقال:

﴿ ٦١٢ ﴾

مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن:

كالأترجة طعمها طيب، وريحها طيب

والذي لا يقرأ القرآن: كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها،

ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن: كمثل الريحانة ريحها طيب، وطعمها مر،

ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن: كمثل الحنظلة طعمها مر، ولا ريح لها.

متفق عليه

﴿ ٦١٣ ﴾

قبل أن نوفض في الحديث ألا تحبون يا أهل القرآن والإيمان والأترج أن تشرفوا على واحدة من الأُتْرُجّ ثم تتفكروا، لِما الأُتْرُجّة دون غيرها من الثمار.. ؟

لقد جمعت هذه الثمرة أكثر من عشر خلال ذكرها شراح الحديث كانت بها أشبه ما يكون بالمؤمن الصادق في أخذه للقرآن:

﴿ ٦١٤ ﴾

إنها ثمرة كالمؤمن:

طيّبة الريح

غالية الثمن

فرحة اللون

لينة الملمس

جليلة الحجم

لذيذة المذاق

حسنة المنظر

يُتداوَى بقِشْرها

يفر منها الجن كالقرآن

بيضاء الجوف كقلب المؤمن.

﴿ ٦١٥ ﴾

عودا إلى أصنافٍ تمسحوا بالقرآن ولم يشرفوا به:

فمنهم صنفٌ إنما هم خونة لم يكتفوا بالإعراض عنه بل صادفوه بالعداء وهم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾؛ فجمعوا النأي والنهي حتى الهلاك.

﴿ ٦١٦ ﴾

وهذاوصفهم أيضا وجزاؤهم في نفس السورة:

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَـٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾.

ومن هؤلا الذين يصدفون كُتّاب ومستشرقون غلبهم الحسد وقلة الإنصاف فطعنوا، وما طعنوا إلا أنفسهم وهم لا يشعرون، حتى ألقوا بأنفسهم في قمامة التاريخ.

﴿ ٦١٧ ﴾

ومن الناس من ينتسب للقرآن ظاهرا لا باطنا، همّهُ التزين به والاسترزاق، فلا عبادة ولا عمل إلا كما العوام.. ولقد قلنا من قبل: القرآن لا يهدي إلا للتي هي أقوم، ولا يُطلب به إلا الآخرة، ومن طلب به الدنيا والرياء والتسميع كبّه في النار...

﴿ ٦١٨ ﴾

وإن فيمن ينتسب للقرآن اليوم في بعض العالم الإسلامي أناس دنسوا أنفسهم بالأطماع، لا يتلونه عبادة بل تجارة، إذا وُضع الدينار في حلق أحدهم تلاه وإلا قلاه، خبرهم لا يخطر على بال، لكنه بؤس الطمع، وإن من النصيحة لكتاب الله أن نسمهم على خراطيمهم بشيء يُعرفون به، ويتجنبهم من أراد القبول والنفع.

﴿ ٦١٩ ﴾

أقاموا في تلك الجهات -لا أسميها - فأهل القرآن يعرفونها :

أقاموا أسواقا سوداء يُتاجرُ فيها بالقرآن والقراءات، وجلس السماسرة على أطرافها يتلقون الركبان، ويبيعون عليهم الإجازات بأسانيد ممهورة بأختام يصنعونها، وألقاب يتشبعون بها ، ويغررون بالناس.

﴿ ٦٢٠ ﴾

والأسعار تتفاوت:

بتفاوت السند علوا ونزولا،

وباختلاف الإجازة: مباشرة أو إلكترونية،

وباختلاف عدد القراءات،

واختلاف مدة الإقراء،

ويشترطون للإجازة شروطا ليست في كتاب الله، وكل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مئة شرط،

وأخشى ما يُخشى أن ينتقل بلاؤهم إلى خارج بلادهم ومواضع جهلهم.

﴿ ٦٢١ ﴾

عندهم الإجازة السريعة:

يودع له ثمنها في الصباح ثم يختم عليه القرآن ختمة عن بُعد بالهاتف أو عبر التطبيقات الحديثة ربما في يوم واحد ويجيزه في آخر النهار دون أن يعرف دينه وخلقه وهديه، وهذا المسكين ينطلق بهذه الإجازة المزورة يتشبع بها ويبدأ هو أيضا في حلقة جديدة من الاسترزاق.

﴿ ٦٢٢ ﴾

اكتفي بالإشارة عن صريح العبارة حتى لا نجعل الحروف دعاية لهؤلاء، لكن وددت لو عرف هؤلاء هذه الحقيقة:

والله لو أجيز حامل القرآن بالعشر، وصدح به بأجمل صوت ما رفعه من وضيعته ولا بورك له في صنعته حتى يخلص في أخذه، وتلقينه، والعمل به.

﴿ ٦٢٣ ﴾

وأنا لا أحجر واسعا في هذه الإجازات واستكتاب الأسانيد فهي مما يُطلب ويحتاط بها للقرآن؛ لكن أن تطغى وتصير هي المطلب الذي ينتهي عنده الأمل فلا، فإن من الشباب من همه هذه الرسوم والشكليات يتلهى بها عن الإخلاص والعمل ولا يسلك سابلة السلف.. السلف كانت أعمالهم وخشيتهم أظهر من ألقابهم.

﴿ ٦٢٤ ﴾

ننتقل إلى التاريخ نتَرَوّى منه لعل وعسى:

ياقارئَ القرآنِ إن لم تتبعْ ... ماجاءَ فيه فأين فضلُ القاري؟

﴿ ٦٢٥ ﴾

في البخاري جاء عراقي كأنه من أهل القرآن إلى عائشة رضي الله عنها يسألها أسئلة تكشف عن هذا التلهي الذي ذكرت، وإظهار عراقيته مقصود عند علماء الحديث، فقال لها أولا:

أي الكفن خير؟ قالت:ويحك، وما يضرك؟

كأنها تقول: لو كفن الفاجر في حرير ما نفعه ! ولو ووري المؤمن بلا كفن ما ضره .

﴿ ٦٢٦ ﴾

ثم سألها أن تريه مصحفها ؟

قالت: لِمَ ؟

قال: لعلي أولف القرآن عليه، فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أيه قرأت قبل؟ ...

قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور.

كأنها تقول ثانيا: هذا المصحف فأين العمل؟

﴿ ٦٢٧ ﴾

لاأدري كيف جرى هذا القلم، لكن الذين لم يقدروا القرآن قدره، ولم يفهموا حقيقة التدين يستحقون من يصرخ بهم، القرآن ليس رسوما وهيئات يتزين بها وتستفتح به المجالس والمآتم، القرآن ثقيل، القرآن له هدايات في الاعتقاد والعبادة والأخلاق، إذا لم تكن لحامله فمثله كمثل الحمار الذي ضرب لحملة التوراة.

﴿ ٦٢٨ ﴾

وإلا ما الذي أفاد الخوارج من القرآن وهم يتلونه ولكن ليس حق تلاوته، بل ضرب الجهل بأطنابه في رؤوسهم:

في البخاري:

سأل رجل ابن عمر عن دم البعوض، فقال:ممن أنت؟

فقال: من أهل العراق،

قال: انظروا إلى هذا، يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبي ﷺ وسمعته ﷺ يقول: هما ريحانتاي من الدنيا.

﴿ ٦٢٩ ﴾

قبل أن نطّلِع على حديث القرآن عن القرآن شاركوني هذه الصورة من صور الوحي التي تشير إلى ثِقله وعظمته التي لا نستحضرها غالبا عند تلاوته وأخذه، لقد تقرر عند الصحابة واشتهر كيف كان ﷺ يعاني عند تلقيه وتقدم ذكر شيء من هذا، لكن أُذّكرُ بهذه الصورة من يتاجر بالقرآن أنه أغلى من المتاجرة:

﴿ ٦٣٠ ﴾

يعلى بن أمية يقول لعمر رضي الله عنهما:

أرني النبي ﷺ حين ينزل عليه الوحي، كان هذا بالجعرانة بعد فتح مكة، وبينما النبي ﷺ هناك جاءه سائل عن الطيب للمحرم.. وكان ﷺ لا ينطق إلا بوحي فيما لاعلم له به ولا اجتهاد، فسكت بعد السؤال ساعة ثم جاءه الوحي.. حينها وجد عمر بغيته ليُريَ يعلى ما أراد:

﴿ ٦٣١ ﴾

تعالوا لتروا هذا الموقف والمشهد الرائع:

أشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى ليأتي، فجاء يعلى يسعى فإذا رسول الله ﷺ قد أُظل بثوب.. فأدخل يعلى رأسه تحت الثوب ليرى، فإذا رسول الله ﷺ محمر الوجه، وهو يغط، ثم سري عنه، فقال: أين الذي سأل .. ثم أفتاه.

متفق عليه

﴿ ٦٣٢ ﴾

نعودإلى حديث القرآن عن القرآن، سأختار شيئا عن شيء، فإن حديثه عنه متشعب؛ تارةبالمعنى، وتارة بلفظ كلفظ:

القرآن، الكتاب، الفرقان، الوحي، التنزيل، الذكر، الروح، الهدى، الحكم، البيان، القصص، النور، السراج، الحديث، كلام الله، حبل الله، الموعظة، المنير، الرحمة، النذير، الذكرى، التذكرة، المثاني، أحسن الحديث..

﴿ ٦٣٣ ﴾

أول إشارة للقرآن في القرآن في الفاتحة في موضعين:

عند قوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ على تقدير محذوف:

أي بسم الله أتلو هذا القرآن وأعمل وأُحكّم.

ثم جاء فيها: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ ، وهو القرآن ففي الحديث قال ﷺ:

الصراط المستقيم : كتاب الله.

﴿ ٦٣٤ ﴾

وفي أول الزهراء الأولى تأتي تزكية القرآن للقرآن باسم الإشارة إلى الرفيع: "ذلك"، وذكر وظيفته السامية "الهداية":

﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

ثم تحدث فيها عن أعظم صفة لهؤلاء المتقين أنهم يؤمنون بالقرآن:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾.

﴿ ٦٣٥ ﴾

ومن حديث القرآن عن القرآن ذِكْرهُ لثلاثة أوقات قرآنية:

شهر

وليلة

وساعة،

فذكَر:

شهر نزوله الأول: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى﴾،

وليلة النزول الأولى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾.

﴿ ٦٣٦ ﴾

ثم ذكر أعظم ساعات تلاوته في ساعة صلاة الفجر التي يشهدها حرس الليل وحرس النهار من الملائكة:

﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا﴾.

﴿ ٦٣٧ ﴾

ومنه:

مدحه لمن أنزله سبحانه، فأتى بضمير العظمة في ثلاثة عشر موضعا:

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ﴾

﴿وَبِٱلۡحَقِّ أَنزَلۡنَٰهُ﴾

وفي مواضع بالاسم الظاهر أو الصفة:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾.

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾.

﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾

﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

﴿ ٦٣٨ ﴾

ومن أعظم حديث القرآن عن القرآن:

أن الإيمان به ركن من أركان الإيمان:

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾.

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ﴾.

﴿ ٦٣٩ ﴾

وفي أحدعشر موضعا كان حديث القرآن عن عربية اللسان:

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾

﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

﴿ ٦٤٠ ﴾

وفي خمسة عشر موضعا من القرآن تحدث عن وصفه أنه جاء بالنذارة وتخويف أهل الباطل:

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ﴾.

﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟﴾.

﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ ﴾.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ ﴾.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝ لِّيُنذِرَ ﴾.

﴿ ٦٤١ ﴾

وفي عشرة مواضع تحدث عن مجيئه بالبشارة لأهل مراتب الدين الثلاث:

المحسنين - المؤمنين - المسلمين

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

﴿ ٦٤٢ ﴾

وعليه فحديث القرآن عن القرآن بوصف النذارة كان أكثر ...

لكن اسمحوا لي بجملة معترضة عن حديث القرآن عن النبي ﷺ بهذين الوصفين يمكن أن تخضع للتأمل:

وصفه ﷺ بالبشارة في القرآن كان أكثر، جاءت في واحد وعشرين موضعا، بينما بالنذارة جاءت في ثلاثة عشر موضعا فيما ظهر لي بادئ النظر، والله أعلم.

﴿ ٦٤٣ ﴾

أكثرحديث القرآن عنه بلفظ القرآن جاء في عشرة مواضع من سورة الإسراء، لا أدري هل لأجل شرف الرحلة، منها:

هدايته للتي هي أقوم

وتصريف آياته ليذكروا

ونفرة الكفار منه

وقرآن الفجر

والاستشفاء به

وتحدي الخلق أن يأتوا بمثله..

وختامها: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾.

﴿ ٦٤٤ ﴾

أقوى حديث للقرآن عن القرآن حينما جاء ليتحدى البشرية بل الإنس والجن، وكان التحدي به على ثلاث مستويات:

الأول: أن يأتوا بمثله، في موضعين:

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ﴾.

﴿ ٦٤٥ ﴾

الثاني: أن يأتوا بعشر سور مثل سوره:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾.

ثم تنزل معهم أن يأتوا بسورة واحدة ولو من قصار سوره في موضعين:

- ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾.
- ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم﴾.

﴿أم يقولون افتراه قل فأتوابسورة مثله وادعوامن استطعتم﴾.

﴿ ٦٤٦ ﴾

كان بإمكان قريش والبشرية اليوم أن يقبلوا التحدي ويأتوا بسورة ولو قصيرة كالكوثر، ويقضوا على الإسلام في مهده، لكنهم لم يفعلوا، وهذا التحدي لازال قائما أمام الدول العظمى، ورجال الفكر والأدب، وأهل علوم الفضاء والمخترعات والتقنيات المذهلة، ووالله لقد فكرت فيه البشرية كثيرا وحاولوا.. لكن أنّى لهم.

﴿ ٦٤٧ ﴾

كان هناك محاولات بائسة، كلها صارت وأهلها أضحوكة أمام العالم، نذكر منها نزوتين:

• نزوة الكذاب مسيلمة.

• ثم ماتقذفه آلةالطباعة الإمريكية اليوم كبدائل للقرآن باسم: الكتاب الحر، أو مثلث التوحيد، أو الفرقان الحق..

هذه المهازل لم يردّ عليها علماءالمسلمين، بل استهجنها حتى الصبيان في كتاتيبهم.

﴿ ٦٤٨ ﴾

ومن حديث القرآن عن القرآن وهو مناسب لهذا التحدي:

دعوته الخلق إلى تدبره في أربعة مواضع:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾.

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾.

﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾.

﴿ ٦٤٩ ﴾

ومما هو في معنى التحدي أيضا وهو من حديث القرآن عن القرآن:

استفتاحه السور بذكره، جاء في فاتحة كل سورة بدأت بالحروف المقطعة، وهي سبع وعشرون سورةعدا العنكبوت والروم، أولها البقرة وآل عمران، وآخرها أول المفصل ق، زيادة على ذكره في أول إحدى عشرة سورة غيرها كالكهف والفرقان وآخرا في الطور.

﴿ ٦٥٠ ﴾

كأنه يقول : الم الر طسم حم ق : إذا كانت هذه حروفه التي تعرفونها لكنكم تعجزون أن تنظموها وتأتوا بمثله .. فما لكم لا تؤمنون وتسلمون وتستسلمون ؟

﴿ ٦٥١ ﴾

ومن حديث القرآن عنه: ذكره الأدب عند تلقيه وسماعه وتلاوته:

﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾.

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾.

﴿ ٦٥٢ ﴾

ومن حديثه عنه:

الامتنان به على النبي ﷺ :

﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾.

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ..﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾.

﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ..﴾.

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾.

﴿ ٦٥٣ ﴾

ومن حديث القرآن عن القرآن وصفه لنفسه ومدحه لها، فقد وصف نفسه ومدحها بأوصاف منها:

اليسر، والبركة، والعزة، والحكمة، والإحكام، والبيان، والثقل، والصدق، والعدل، والمجد، والحق. ومنها أنه: متشابه، ومثاني، ومنير، ومفصل، ومهيمن، ومصدق، وذي الذكر...

﴿ ٦٥٤ ﴾

ومن حديث القرآن عن القرآن:

مدح موسوعيته وشمول أحكامه وأخباره، وغِناء مواعظه وأمثاله:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾.

﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾.

﴿ ٦٥٥ ﴾

ومن حديث القرآن عن القرآن:

ذكر تلاوته لأخبار السابقين من النبيين وغيرهم:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ﴾.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿ ٦٥٦ ﴾

ومن حديث القرآن عن القرآن:

ذكر تلاوته للأحكام والآداب:

﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾.

﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿ ٦٥٧ ﴾

ومن حديث القرآن عن القرآن:

تصويره لكيفية تعامل الخلق معه واستقبالهم له:

النبي ﷺ

والمؤمنون

والكفار

واليهود

والمنافقون

والجن

والجمادات...

﴿ ٦٥٨ ﴾

فتحدث القرآن للنبي ﷺ كثيرا وتحدث عنه:

فمما قال له وعنه:

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾

﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ...وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ...﴾.

﴿ ٦٥٩ ﴾

ومن حديث القرآن أيضا عن النبي ﷺ:

بشائره له ، وتثبيته لقلبه، وامتنانه عليه كقوله:

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾.

﴿لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾.

﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿ ٦٦٠ ﴾

ومن حديث القرآن عن القرآن ذكره وظيفة النبي ﷺ معه:

﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ﴾.

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ..﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾.

﴿ ٦٦١ ﴾

وأما حديثه عن كيفية استقبال المؤمنين له ففي مثل قوله:

﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ..﴾.

﴿تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ..﴾.

﴿إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدٗا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾.

﴿ ٦٦٢ ﴾

وفي حديثه عن تعامل الكفار وتجاوبهم معه قال:

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ..﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾.

﴿ ٦٦٣ ﴾

ولمّا واجه القرآن اليهود والنصارى في المدينة تحدث عن كيفية تعاطيهم معه وكشف عتوهم وكبرهم في مثل قوله:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿ ٦٦٤ ﴾

وصور أيضا صورة أخرى لمن تأثر به من اليهود كعبدالله بن سلام أو من هؤلاء أي من المشركين:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿ ٦٦٥ ﴾

ولا يزال القرآن إلى اليوم يبعثر ركام القلوب، وينطق ألسنة الأعداء بالحق:

في مدخل كلية القانون في جامعة هارفارد نُقشت هذه الآية من سورة النساء:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ..﴾

﴿ ٦٦٦ ﴾

أما مرضى القلوب فيبغضون القرآن لكنهم يخافون سطوته عليهم، وكشفه لعوارهم، فهم ما بين خوف وصد ورجس:

﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴾.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا﴾.

﴿ ٦٦٧ ﴾

قبل أن نرجع لحديث القرآن عن القرآن نذكر ما له ارتباط بهذا السلطان الذي ألقى به القرآن على قلوب أعدائه، في لمحة سريعة هي من أعجب المشاهد في قصته:

﴿ ٦٦٨ ﴾

بدأت بسجود المشركين مع النبي ﷺ لما قرأ النجم، ثم تخوفهم من أثر تلاوة أبي بكر على نسائهم وأطفالهم، إلى خضوع كبارئهم كعتبة بن ربيعة لماسمع فصلت من فِيّ النبي ﷺ وشهادةالوليد التاريخية:

إن عليه لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ماتحته.

﴿ ٦٦٩ ﴾

ثم يسجل التاريخ شهادات تتزايد لمنصفين من الكتاب والعلماء والمستشرقين الغربيين:

﴿ ٦٧٠ ﴾

".. عندما أكملت القرآن الكريم غمرني شعور بأن هذا هو الحق الذي يشتمل على الإجابات الشافية حول مسائل الخلق وغيرها، وأنه يقدم لنا الأحداث بطريقة منطقية نجدها متناقضة مع بعضها في غيره من الكتب الدينية، أما القرآن فيتحدث عنها في نسق رائع، وأسلوب قاطع، لا يدع مجالاً للشك "

بوتر

﴿ ٦٧١ ﴾

"لن أستطيع مهما حاولت أن أصف الأثر الذي تركه القرآن في قلبي، فلم أكد أنتهي من قراءة السورة الثالثة من القرآن حتى وددتني ساجدة لخالق هذا الكون".

هوني التي أسلمت بعد.

"القرآن الكريم معجزة إلهية بليغة،ليست من قول بشر إنها معجزة دائمة ليست كأي معجزة هي أقوى من معجزة الموتى".

كورسل

﴿ ٦٧٢ ﴾

"يجذب المرءفي وقت قصير يجعله ينبهر به في كل مرة يمسك به، يتسم أسلوب القرآن ومحتوياته بالكمال والقوة والعظمة، وسيبقى كذلك مدى الدهر".

قوث

"كلما ندقق في القرآن نرى كماله وعلوه، يجذب المرء أولا، ثم يبهره ويحيره ويجعله شغوفا به، يجبر المرء على إحترامه وبذلك ترى تأثيره في الأعماق".

ادموند

﴿ ٦٧٣ ﴾

"إن القرآن ليس معجزة بمحتواه وتعليمه فقط، إنه أيضا ويمكنه أن يكون قبل أي شيء آخر تحفة أدبية رائعة تسمو على جميع ما أقرته الإنسانية وبجلته من التحف"

"لاجرام في أنه إذا كان ثمة شيء تعجز الترجمة عن أدائه فإنما هو الإعجاز البياني واللفظي والجرس الإيقاعي في الآيات المنزلة"
بلاشير

﴿ ٦٧٤ ﴾

"لقد قمت بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة، باحثًا عن درجة اتفاق نصي القرآن ومعطيات العلم الحديث.. فأدركت أنه لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث...".
العالم الفرنسي موريس بوكاي.

﴿ ٦٧٥ ﴾

".. إن القرآن لم يقدّر قط لإصلاح أخلاق عرب الجاهلية، إنه على العكس يحمل الشريعة الخالدة والكاملة والمطابقة للحقائق البشرية، والحاجات الإجتماعية في كل الزمنة" بوازار

﴿ ٦٧٦ ﴾

يكفي هذا ، وهناك كتب مؤلفة تجمع مثل هذه الشهادات التي يفتقر إليها بعض من تطربه، وأما القرآن فغني عن قول كل قائل .. لكن نذكرها لأنه -أي القرآن- سجل ما يشبهها عن مثل الجن والجماد الذي لو أصغى له:

﴿لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾.

﴿ ٦٧٧ ﴾

وإن الجن لمّا سمعوه تحدث القرآن عن كيفية تأثرهم به وعجبهم منه:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾.

﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾.

﴿ ٦٧٨ ﴾

ومن حديث القرآن عن القرآن بيان موقفه من الكتب السابقة، وأن له معها موقفين: التصديق، والهيمنة: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾.

﴿ ٦٧٩ ﴾

ومن أوسع وأعظم حديث القرآن عن القرآن ونختم به حديثه عن بركته وهداياته ومقاصده.. هذا كثير جدا، ومنه:

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾

﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾

﴿ ٦٨٠ ﴾

بعد حديث القرآن عن القرآن خذوا هذا المسمع تروحوا به حتى نعود إلى لون آخر من الألوان القرآنية:

هو للمريض علاجُه وشفاؤه ... هـو رقـيةٌ للـمشتكي والـرّاقي
هو جُنةٌ من كلِّ شرٍّ أو أذى ... هو للورى الحصنُ المنيع الواقي
https://t.co/xtgSo9j4Tc

﴿ ٦٨١ ﴾

في قصةالقرآن أوائل:

- أول ما أنزل من القرآن بمكة: اقرأ عند جماهير العلماء لا المدثر.
- وأول ما أنزل من القرآن بالمدينة: البقرة.
- وأول من كتب الوحي بمكة ابن أبي السرح
- وبالمدينة أبي بن كعب
- وأول من جمع المصحف أبو بكر.. وهناك أوائل أخر.. ليس هذا ذكرها لكنها إشارة إلى مابعدها :

﴿ ٦٨٢ ﴾

ففي هذه القصة أوائل حديثة تلتحق بالأوائل الأُول: فمن هذه الأوليات الحديثة:
أول طباعة للقرآن الكريم هي أول طباعة لكتاب عربي، ولم تكن بأيد مسلمة بل كانت في مدينة البندقية منتصف القرن العاشر الهجري في حدود ٩٤٤ هجري - ١٥٣٨م، وتلك النسخة مفقودة لأن الكنيسة أمرت بإتلافها وقتئذٍ.

﴿ ٦٨٣ ﴾

ثم طبع أول طباعة بقيت وكانت بأيد غير مسلمةأيضا، بعد أكثر من مئة وخمسين سنة في مدينة هامبروج عام ١١٢٥هجري- ١٦٩٤م على يد المستشرق هنكلمان، حيث أراد التعرف على حضارة الإسلام، وفي طبعته أخطاء كثيرة، ويوجد نسخة منها في دار الكتب المصرية، وفي مكتبة جامعة الملك سعود كما يذكر بعض الباحثين.

﴿ ٦٨٤ ﴾

وأما أول طباعة بإشراف إسلامي فقد كانت قبل ٢٤٠ سنة في سنات بترسبورج بروسيا عام ١٢٠٠ هجري- ١٧٨٧م أظنه بطلب الدولة العثمانية.

بينما كانت أول طباعة في بلد مسلم في تركيا قبل مئة وخمسين عاما تقريبا عام ١٢٩٣ هجري- ١٨٧٧م تخللها طبعات هنا وهناك في مثل: إيران والهند وماليزيا وغيرها.

﴿ ٦٨٥ ﴾

ثم كانت طبعة الأزهر الرسمية وهي الطباعة الموثوقة الأولى، وكانت بإشراف جماعة من القراء وفق رواية حفص عن عاصم وبالرسم العثماني، هذه الطباعة كانت قبل مئة سنة من اليوم في عام ١٣٤٢ هجري- ١٩٢٣م... ثم تتابعت بعدها الطبعات هناك وفي الشام وتركيا والهند وغيرها.

﴿ ٦٨٦ ﴾

وأما أعظم وأجود وأكثر طباعة للمصحف الشريف في التاريخ والعالم فهي التي تولاها مجمع الملك فهد في المدينة النبوية:

افتتح عام ١٤٠٥هـ.

أنتج ١٦٠ إصدارا مختلفا في الأحجام والخط والألوان.

طبع إلى الآن ما يقارب ٢٠٠ مليون مصحف، عامتها توزع مجانا، وهو من مفاخر الدهر لهذه الدولة المباركة.

﴿ ٦٨٧ ﴾

وكان من آخر إصداراته طباعة المصحف بطريقة برايل للمكفوفين، وأود أن أذكر هنا شيئا من فقهه:

- كوجوب مراعاة الرسم العثماني فيه ما أمكن.
- واستصحاب أحكام المصحف التي تقدم بعضها: كاشتراط الطهارة للمسه، وحكم بيعه..

لأن الكفيف يستطيع أن يضع يده على حروفه ويرتل آياته، وليس تفسيرا فقط.

﴿ ٦٨٨ ﴾

ومن أوليات هذا العصر:
الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، وهذا اسم كتاب لصاحب الفكرة الأول واسمه لبيب السعيد ت ١٩٨٨م، وهو من مصر كان يعمل في وزارة المالية المصرية ورأس الجمعية العامة للمحافظة على القرآن الكريم، وعمل بعد أستاذاً في جامعة الإمام بالرياض حتى منتصف الثمانينات.

﴿ ٦٨٩ ﴾

لبيب هذا كاسمه، هو صاحب المشروع، وأول مصحف مسجل كامل كان للشيخ محمود خليل الحصري عام ١٣٨١، برواية حفص عن عاصم، وكان التسجيل بإشراف جماعة من علماء الإقراء والقراءات.
هذا كمصحف كامل وأما الإذاعة فأظن إذاعة القرآن المصرية بدأت في بث مقاطع لبعض القراء كمحمد محمود رفعت في حدود عام ١٣٥١.

﴿ ٦٩٠ ﴾

التسجيل للمصاحف تتابع بعد تجربة الحصري الأولى، ففي ١٣٨٢ سُجّل بصوت الشيخ محمد صديق المنشاوي، وآخرين معه، ثم لعبد الباسط ومصطفى إسماعيل وغيرهم.
وكأن الله تعالى حفظ كتابه صوتا بهذا على وجه كانوا فيه مراجع لمن بعدهم في الأداء القرآني عالي الجودة والإتقان.

﴿ ٦٩١ ﴾

لكن للحصري أوليات خاصة:

في عام ١٣٨٤ سجل مصحفا برواية ورش عن نافع.

وفي ١٣٨٨ برواية الدوري عن أبي عمرو.

وأول من سجل القرآن المعلم عام ١٣٨٩.

وأول من رتل القرآن في الأمم المتحدة ١٣٩٧.

وبعدها بسنة رتل القرآن في القصر الملكي في لندن.

وأول قارئ للقرآن في البيت الأبيض والكونغرس الأمريكي.

﴿ ٦٩٢ ﴾

وأما الأوائل الذين سجل لهم مصحف كامل في المملكة وسمعناه في أوائل هذا القرن الهجري فأظنه كان لعبدالله خياط وزكي داغستاني ثم علي الحذيفي حفظه الله، وأظن مصحف الحذيفي هو الذي حظي بالتدقيق وتحت إشراف جماعة من القراء في مجمع الملك فهد عام ١٤٠٤، وله تسجيل أقدم من هذا كان في مكة.

﴿ ٦٩٣ ﴾

وبعد الجمع الصوتي بدأ التفكير في الجمع الصوتي والمرئي؛ فإن رؤية القارئ تفيد المتلقي كثيرا، ولا أعلم هل تم جمع مصحف كامل على النحو الدقيق الذي تم به الجمع الصوتي الدقيق أو لا، وأما المصاحف المسجلة والمرئية من قراء التراويح فكثيرة.... هذه من حروف هذه القصة... وبقي معلومات منبثة:

﴿ ٦٩٤ ﴾

أطول الآيات في القرآن: آية الدين في البقرة

وأقصرها: طه ويس وحم.

وأطول سوره: سورة البقرة

وهي أكثر السور آيات وبعدها الشعراء..

وأقصر السور: الكوثر ثلاث آيات فقط..

وذكر في القرآن: خمسة وعشرون نبيا ورسولا ، منهم ثمانية عشر في أربع آيات في الأنعام.

﴿ ٦٩٥ ﴾

وفي القرآن الكريم "١١٤" سورة ..

وعدد آياته ٦٢٣٦ آية،

وحروفه ٣٢٣٦٧٠ حرفاً،

بينما عدد نقاطه ١٠١٥٠٣٠ نقطة

وكلماته: "٧٧٩٣٤" كلمة قرآنية

وسجداته ١٤ على الراجح

وذكر اسم الله عز وجل في القرآن الكريم ٢٦٩٧ مرة.

﴿ ٦٩٦ ﴾

وأطول كلمة فيه: (فأسقيناكموه).

وخمس سور تبدأ بـ"الحمد"، وسبع بالتسبيح،

وتسع وعشرون بالحروف المقطعة، وست بأسماء الأنبياء، وخمس بأسماء حيوانات، وواحدة باسم امرأة.

ومدة النزول في مكة ١٢ سنة و ٥ أشهر و ١٣ يوما ، بينما مدة نزوله في المدينة ٩ سنوات و ٩ أشهر و ٩ أيام .

﴿ ٦٩٧ ﴾

وترجمت معاني القرآن الكريم إلى أكثر من ثنتين وعشرين لغة، ولبعض اللغات أكثر من ترجمة كالإنجليزية والتركية والألمانية والروسية والإيطالية؛ ليهلك من هلك عن بينة:



﴿ ٦٩٨ ﴾

هذا النِثار ليس مقصودا لذاته، ولا مستوعبا لجزيئاته، وإنما أردت أن أشير فقط إلى مشاهد أخرى في قصة القرآن تنبئ عن شيء لا يكاد يوصف من العناية الإلهية بكتابه، وإلا فأي كتاب أحصيت حتى نقاطه وحروفه وتشديداته وفصلت معلوماته تفصيلا غير القرآن ؟ ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

﴿ ٦٩٩ ﴾

وبعدُ، فقد دخلنا في زحمة العمل والدروس، وضاقت فسحة الإجازة، وتضيّفت هذه الحروف للغروب، ولا حول ولاقوة إلا بالله.. قد بلغت السبع مئة أوتزيد، وهي وإن كانت من أعداد المضاعفات والكثرة إلا أنه ما كان لها أن توفيّ القرآن حقه، بل لم تأخذ من خبره وعلمه إلا كما يأخذ المخيطُ إذا أُدخل البحر.

﴿ ٧٠٠ ﴾

وفي هذه العجلة ألملم نثار الأوراق التي تزاحم بعضها في يدي، وبعضها صارا طائرا من الذهن تذروه الرياح؛ لعلي أن ألوّح للسائرين ببقيةٍ من أعلام الهدايات القرآنية، ورؤوس الكلِم الذي أنفجناه لكن فات إدراكه وضاقت أنفاسه ...

﴿ ٧٠١ ﴾

لعلّ فراق الحَيّ لِلبَينِ عامِدي .. عَشِيّةَ قاراتِ الرحَيلِ الفَوارِدِ
لَعَمرُ الغَواني ما جَزَينَ صَبابَتي .. بِهِنّ ولا تَحبيرَ نَسجِ القَصائِدِ

﴿ ٧٠٢ ﴾

تعرّفوا على أقسام القرآن الأربعة التي لو خيّمَ الركب عند كل قسم لما وفّاه حقه ولو في سنين:

١- الآيات البينات في العقائد والأحكام والآداب.

٢- والقصص القرآني.

٣- والأمثال.

٤- والمواعظ.

﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾

﴿ ٧٠٣ ﴾

كنا في ركب هذه الحروف والقصة القرآنية نود أن ينزل الخلق على عيون مواعظ القرآن ليُروّوا قلوبهم، ويغسلوا أدران نفوسهم، ولكن الحادي فيه عجلة...

﴿ ٧٠٤ ﴾

وَحاجّهُ قَومُهُ بسُنة التخول ليقطع طرفا من القسوة التي غشيت القلوب، مع قحط الحياة، وغربة الحُداة، وطغيان المادة، والتهاء الناس ببرامج يسمونها تواصل وما هي على كثير إلا مشارط قطّعتْ نياط تدينهم.

﴿ ٧٠٥ ﴾

آهٍ على قلوب حُرمت مواعظ القرآن؛ تلك المواعظ التي تنوعت أنواعا، وتشكّلت أشكالا، فكان منها:

- مواعظ تُذكّر بالجنان
- ومواعظ تأخذ بحجز الناس عن النيران
- ومواعظ تصور خواتيم أهل الغواية حيث ساءت مستقرا ومقاما
- ومواعظ تشرف بالنفوس على منازل أهل الإيمان والولاية، وكيف حسنت مستقرا ومقاما.

﴿ ٧٠٦ ﴾

فقط لأهل القلوب الراوية، ومن أراد أن يستقي ويصدر مع الرِعاء: هذه عناوين بعض مواعظ القرآن تدل على ما ورائها:

أوائل الفرقان

وخواتيم الزمر

وق

والواقعة

والحاقة

والتكوير

والإنفطار

والتكاثر

انظروا أيضا: عواقب مسرفي الأمم، ومصارع الظلمة في مثل: الأعراف وهود والشعراء والقمر ...

﴿ ٧٠٧ ﴾

يا معاشر الأئمة والقراء:عند تلاوتكم عظوا أنفسكم والعالم بالقرآن، فإن بيانه ومواعظه للبشرية كافة، إلى أن يأذن بهدايته ورحمته لمن شاء منهم، فإنها لأهل الإيمان خاصة:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾

﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾.

﴿ ٧٠٨ ﴾

وإن مراتب الناس مع القران ثمان:

مرتبة هذ وهذه مذمومة

ومرتبة قراءة: "الحرف بعشر حسنات.."

ومرتبة تلاوة: ﴿يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾

ومرتبة تدبر: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾

ومرتبة اتعاظ: ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾

ومرتبة استشفاء القلب والبدن: ﴿مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ﴾

ومرتبة تعلم: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾

ومرتبة عمل: ﴿فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾

﴿ ٧٠٩ ﴾

وإن أعظم موارد القرآن التي تستوجب التدبر والاتعاظ وتحريك القلوب بها والوقوف عندها طويلا من طلاب العلم خاصة ومن الناس عامة:

آيات الإيمان والتوحيد ، التي توجب إخلاص المقاصد كلها لله وحده في العلم والعمل:

https://t.co/jCZgZZorfb

﴿ ٧١٠ ﴾

وقبل الوداع انظروا معاشر الباحثين وطلاب العلم والمعرفة إلى خزائن القرآن العلمية التي لم نأت عليها في هذه الحروف، والتي تسمى في اصطلاح العلم اليوم: التفسير الموضوعي ، كيف ستخرجُ بأسفار مليئة بالعلم لو تتبعت مفاتيحها في كتاب الله:

﴿ ٧٠١١ ﴾

• عظمة الخالق في القرآن

• التوحيد في القرآن

• وظائف الأنبياء في القرآن.

• تحكيم الشريعة

• بر الوالدين – صلة الأرحام - الإصلاح – العفاف – النصيحة - الأمر والنهي- عجائب الكون - مشاهد الآخرة - الآداب الاجتماعية – المرأة – العدل – الإحسان – الأخلاق - التوكل - الشكر – الصبر - التوبة - الشورى.. كل هذا في القرآن.

﴿ ٧١٢ ﴾

انزلوا مرابع قصص القرآن وانظروا ما فيها:

قصص الأنبياء:

• كآدم في خلقه، ثم في الجنة، ومع إبليس، ثم على الأرض.

• ونوح قبل الطوفان وبعده، ومع قومه، ومع السفينة، ومع ولده ومع امرأته.

• وإبراهيم مع الملائكة، ومع أبيه، والنمرود، ومع الذبيح والكعبة ومع الحج، والطير يصرهن إليه...

﴿ ٧١٣ ﴾

اقرأوا قصة:

• موسى رضيعا وشابا، ومع القبطي وكزه، ثم مع فرعون وقارون وهامان، ومع شعيب، وأهله والطور، والعصا والبحر، ثم مع السامري وبني إسرائيل..

• اقرأوا وتدبروا قصة عيسى كيف تكلم وليدا، وأحيا مَيْتا، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله.. ثم كيف رفع بجسده وروحه إلى السماء حيا ولا زال ..

﴿ ٧١٤ ﴾

ما أحوج أهل الحضارة المادية والانتكاسة الفطرية الذين أقروا نكاح المثليين أن يقرأوا قصة حجارة السجيل، وكيف غار الله على محارمه وفطرته وجعل عالي الأرض سافلها على منتهكيها.

• تأملوا قصة الشيخ زكريا وكيف رزق بيحي على كِبر وامرأته عاقر، وكيف كانوا يدعون رغبا ورهبا وكانوا لله خاشعين.

﴿ ٧١٥ ﴾

اقرأوا داود في مملكته مع الخصوم والصناعة، ومع الجبال والطيور، يسبح وتسبح، ويترنم الزبور بمزامير..

• اقرأوا سليمان مع أبيه، ومع ملكة سبأ، والريح، والجن، والعفاريت، والنمل، والصافنات، والجسد على كرسيه والدابة تأكل منسأته حتى خر ..

وأيوب إذ نادى ربه، وأخذ ضغثه، وذا النون في الظلمات..

﴿ ٧١٦ ﴾

اقرأوا قصص ابني آدم، وعزير والخضر، ولقمان، وذي القرنين ومريم، وامرأة فرعون، وزيد وزينب، وسارة، وطالوت وجالوت، وهاروت وماروت، وبلعام، وامرأة أبي لهب، وامرأة إبراهيم، وامرأة نوح، وامرأة لوط، والناقة، والبقرة، والغنم إذ نفشت، والنمل، والهدهد، ودابة تكلم الناس، والكلب، والغراب، والحوت، والحمار..

﴿ ٧١٧ ﴾

اقرأوا قصص الأصحاب:

أصحاب الرس،

وأصحاب السبت،

وأصحاب الكهف،

وأصحاب القرية،

وأصحاب الأخدود،

وأصحاب الأيكة،

وأصحاب الجنة،

وأصحاب الحجر،

وأصحاب السفينة،

وأصحاب الفيل.

﴿ ٧١٨ ﴾

ومن أنفع مايكون قبل التلاوة الاطلاع على السيرة، فاقرأوا:

قبل آل عمران قصة غزوة أحد

وقبل الأنفال غزوة بدر

وقبل التوبة غزوة تبوك

وقبل النور المريسيع

وقبل الأحزاب غزوة الخندق

وقبل الفتح اقرأ الحديبية

وقبل الحشر اقرأ غزوة بني النضير

وقبل العلق

والمزمل

والمدثر

والضحى

اقرأ أول البعثة.

﴿ ٧١٩ ﴾

الموفق يتعرف في رحلته القرآنية على هدايات القرآن ومقاصده، فإن هناك مقاصد وهدايات لكل جزء وسورة وآية وحرف.. وإن معرفة مواضيع ومقاصد السورة والجزء مما يعين على حفظها وتدبرها، وسأضرب مثالا:

فالجزء الأول فيه:

المثاني

وأول البقرة، وفيه ذكر القرآن، وتقسيم الناس إلى مؤمن وكافر ومنافق..

﴿ ٧٢٠ ﴾

ثم فيه أول أمربالتوحيد، وأول نهي عن الشرك

وقصةخلق آدم الأولى..

بينما أكثر هذا الجزء في تذكير يهودالمدينة بتاريخهم الأسودمع موسى ﷺ في عدة مواقف، ومنها قصة البقرة التي يعود إليها اسم السورة.

وفي آخره قصة رفع إبراهيم وإسماعيل قواعد الكعبة التي أسستها من قبل الملائكة أو آدم؟ خلاف.

﴿ ٧٢١ ﴾

الجزء الثاني:

أوله في قصة تحويل القبلة واعتراض سفهاء اليهود بعد أن كان ﷺ أكثر حياته يستقبل بيت المقدس ..

وفيه كُتْبُ؛ القصاص، والصيام، والحج، والجهاد

وفي آخره تسعة أسئلة وُجِهت للنبيﷺ عن:

الدعاء

والأهلة

ولمن ينفقون

وماذا ينفقون

والشهر الحرام

والخمر

والميسر

واليتامى

والمحيض.

وآخر الجزء الثاني كله أحكام:

حكم اليمين

ولغوها

والإيلاء

والطلاق

والخلع

والعدة

وحكم الطلقة الثالثة

وتعليق المرأة

وعضلها

والرضاع

ومدته

وأجرة المرضعة

والإحداد

وخطبة المعتدة

وأحكام المهر المفروض

وقصة قوم أماتهم الله ثم أحياهم

وقصة طالوت وجالوت، وبدء ملك داود

وهكذا.. كل جزء وسورة.

﴿ ٧٢٣ ﴾

ومن الفقه القرآني:

الحرص على علم فضائل الآيات والسور، فإن الله فضّل بعضها على بعض، وكان النبي ﷺ يحرص عليها ويعلمها أصحابه:

قال أبوسعيد بن المعلى، قال لي رسول الله ﷺ:

لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج، فذهب ﷺ ليخرج فذكرت له، قال: هي: الحمد لله رب العالمين السبع المثاني.

﴿ ٧٢٤ ﴾

ومن لذائذ العلم القرآني:

فقه مناسبات الآيات والسور، والفروق القرآنية، وفيها مصنفات: كنظم الدرر للبقاعي، فإن التضلع فيها يزيد الإيمان، كقولهم:

من المناسبات : المناسبة بين:

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ و ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾؛ فأهلك أصحاب الفيل؛ لتبقى قريش على إيلافها... وهكذا.

﴿ ٧٢٥ ﴾

ومن الفروق القرآنية:

الفرق بين الظلم والهضم في قوله تعالى:

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾:

فالظلم: بالزيادة في سيئاته.

والهضم: بالنقص من حسناته.

وقيل: الظلم: أخذ حقه كله.

والهضم: الإنقاص منه.

﴿ ٧٢٦ ﴾

وإنّ من أنفع الأمور لتالي القرآن ومتدبره أن يتساءل دائما عن أسراره، والفروق بين ألفاظه، وآياته وسوره، كما لو قال:

لِمَ قدم الزانية على الزاني في: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي﴾، بينما قدم السارق على السارقة في قوله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾؟

لكن المهم ألا يخوض خائض في هذا إلا بعلم.

﴿ ٧٢٧ ﴾

في قصة القرآن عبر التاريخ:

مشاركات أدبية للأدباء،

ومقاطع شعرية للشعراء،

ومقامات بلاغية للبلغاء،

ووقفات مع بدائع نصوصه..

وقف كل واحد من هؤلاء على أطلاله، وحاولوا التشرف بإطرائه.. كانت النفس تتوق أن تشتمل هذه الحروف على نماذج منها، ولكن قدمت الاعتذار....

﴿ ٧٢٨ ﴾

ثم أما بعد أيضا:

إن الصحراء التي خيّمت فيها قلوب البشرية اليوم لن تُغاث بشيءٍ خير من القرآن، وإن هذه الحروف والكلمات والمجلدات في قصة القرآن ليست كثيرة وإن استكثرها العجول، وكأني في فراقها أعالج النزع، وأُراني أحوج ما أكون إلى فعل المحتضر؛ ألا أغادر إلا ووصيتي مكتوبة مع حروفي.

﴿ ٧٢٩ ﴾

وإذا كنا في وآخر فصول هذه القصة فإن أواخر الحياة الوصية، وإن الوصية لضيف هذه الحروف هي وصية رسول الله ﷺ لأمته، ففي الصحيحين سُئل عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما هل كان النبي ﷺ أوصى؟ فقال: لا، فقلت: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بالوصية؟

قال: أوصى بكتاب الله.

متفق عليه

﴿ ٧٣٠ ﴾

وانصح إخواني بالمسارعة في ضبط القرآن وحفظه قبل أن يغزوهم الشيب، فإن الأيام تمضي، وتضعف الذاكرة، ويهن العظم، ويذهب البصر.. وسيأتي يوم يتفرق الناس عنك، ويزهد في مجالستك حتى القريب، ولن تجد حينئذ خيرا من القرآن.. سيملأ قلبك سعادة، ويؤنس وحشتك، وتجد فيه عوضا عن كل مفقود.

﴿ ٧٣١ ﴾

وآخردعوانا ما ذكرناه في أول القصة:

القرآن كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود، وعوده إليه سبحانه مصيبة عظيمة على البشرية، حيث يرفع في آخر الدهر ولاحول ولاقوة إلا بالله.. يُسرى به ليلا فى آخر الزمان من المصاحف والصدور فلايبقى فى الصدور منه كلمة، ولا فى المصاحف منه حرف كماجاء في الآثار.

﴿ ٧٣٢ ﴾

وإذا رُفع القرآن أصبح الناس كالبهائم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه، وكان يقرأ قول الله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾.

وهل سيكون هذا الرفع هو آخر العهد بالقرآن العظيم ؟؟؟ أم أن بعد الموت حياة ؟

﴿ ٧٣٣ ﴾

هل سيكون القرآن من نعيم الجنة؟ هل لنا أن نتلوه أونستمع لتاليه؟

وإن تلوت فبأي صوت؟

وإن سمعنا فنسمع لمن؟

هل نسمع ربنا يتكلم بالقرآن؟

هل سنسمعه من رسولنا ﷺ؟

هل سيتلوه داود ﷺ بمزاميره؟

هل ستتلوه الملائكة والولدان في الجنة؟

هل ستستمع للقارئ الذي تحب، أو لأبيٍّ أوزيدٍ أوأحد العشرة؟

﴿ ٧٣٤ ﴾

ليس في هذا شيء ثابت إلا إن كان:

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ﴾.

ولعل النفس التي عاشت معه في الدنيا تشتهيه في الجنة ويكون من نعيمها..

ففي البخاري أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه في الزرع، وقال: إني أحب أن أزرع، فزرع وبذر..

وثبت في السنن أنه يقال لصاحب القرآن: "اقرأ وارتق ورتل..".

﴿ ٧٣٥ ﴾

تمت حروفها، وإن بقي في العمر بقية وفتح الله بشيء زدناه... :

كَأَنّ فُؤادي يوم قمتُ مُوَدِّع .. عُبَيلَةَ مِنّي هارِبٌ يَتَمَعّجُ

خَليلَيّ ما أَنساكُما بل فِداكُم .. أَبي وَأَبوها أَينَ أَينَ المُعَرّجُ

﴿ ٧٣٦ ﴾

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته أولا وآخرا:

يا قلبُ أنت وعدَتني في حُبّهمْ ... صَبراً فحاذرْ أن تَضِيقَ وتَضجرا
إنّ الغرامَ هوَ الحياةُ فمُتْ بِهِ ... صَبّاً فحقّك أن تَموتَ وتُعذرا.

﴿ ٧٣٧ ﴾

اللّٰهُمَّ اجعلني ومن أحب ذكر القرآن من أهله في الدنيا والجنة..

اللّٰهُمَّ وهذه حروف في حبه:

اغفرلكاتبها، ومحبها، ومتابعها، وجامعها، وناشرها، واكتب لجميعنا سعادة الدنيا والآخرة، ولوالدينا وأهلنا، ومشايخنا يا مولانا..

اللّٰهُمَّ اجعلها خالصة لوجهك، وشيّعها القبول عند خلقك، والحمد لك ربي ورب العالمين.





ملحق

تــ(١٤٢) صــ(٣٣)

لا تتباكوا

أضيف بتاريخ : الجمعة، ٠٨ اغسطس ٢٠١٤ على:
http://saleh-alshamrani.com/article/161

البكاء من خشية الله نعمة عظيمة لا يؤتاها إلا مؤمن:﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾، لكن ذلك إنما هو في خلواتهم يدل عليه قوله سبحانه:﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾.

وأما البكاء في الصلاة وفي مجامع الناس فله حالتان:

الأولى: أن يهجم على الشخص، فهذا محمودٌ، لكن يشرع في حقه أن يدافعه ويخفض صوته دفعا للرياء وصيانة للصلاة.

الثاني: أن يتكلفه القارئ، فهذا مذموم ووسيلة إلى الشرك، ومبطل للصلاة إذا صاحبه نحيب ونفخ خارج عن العادة، والمصلون خلف هذا يمقتونه ويعلمون أنه كاذب.

ولم يحفظ عن رسول الله ﷺ أنه بكى في صلاته بالناس، وهديه ﷺ أكمل الهدي، أما بكاؤه في خلوته فقد حُفِظ، وله شواهد كما في حديث ابن مسعود، وحديث ابن الشخير قال: أتيته ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل. النسائي

ومما يدل على أن التباكي لم يكن من هديه ﷺ ما في الصحيحين عن عائشة أنها اعتذرت لأبيها حينما قال ﷺ: (مروا أبا بكر فليصل بالناس). فقالت: إنه إن يقم مقامك يبكي. فدل على أن النبي ﷺ لم يكن كذلك.

وأما حديث : (اقرأوا القرآن فإن لم تبكوا فتباكوا) فلا يصح عن رسول الله ﷺ رواه ابن ماجة وفي إسناده متروك.

وأما بكاؤه ﷺ في الخلوة أو مع خاصة أصحابه فمنه:

- بكاؤه ﷺ عندما قرأ ابن مسعود سورة النساء. متفق عليه
- ومنه ما جاء عند النسائي أنه ﷺ بكى في صلاة الكسوف، لكن سمعه ابن عمرو وهو يبكي في سجوده.
- ومنه قول ابن الشخير قال: أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل يعني يبكي. النسائي

وأما خطبه ومواعظه فلم يحفظ عنه البكاء فيها إلا النادر، ولم يكن ﷺ يتباكى قط، ومما حفظ في مواعظه:

- ما روى النسائي عن أبي هريرة أنه خطبهم مرة فقال: والذي نفسي بيده ثلاث مرات ثم أكب وأكب كل رجل منهم يبكي.
- وما جاء عند الترمذي من حديث العرباض: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون.
- وفي الصحيحين حينما وعظ الصحابة وسألوه حتى أحفوا المسألة فإذا كل واحد لاف رأسه يبكي ولم يرو الراوي أنه بكى معهم.

وأكثر البكاء المحفوظ عن النبي ﷺ في مجامع الناس إنما هو من قبيل بكاء الرحمة والرقة للمواقف الإنسانية ومنها:

- أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله. رواه مسلم
- ومنها أنه زار سعد بن عبادة فوجده في غاشية أهله مريضا فبكى. البخاري
- ومنها أنه ﷺ نعى أمراء موتة جعفر وصاحبيه وعيناه تذرفان.

- ومنها أنه ﷺ قبل عثمان بن مظعون وعيناه تذرفان. رواه أهل السنن.
- ومن ذلك أنه ﷺ بكى عند وفاة ابنه إبراهيم.
- ومنها ما عند ابن ماجة عن البراء قال: كنا مع النبي ﷺ في جنازة فجلس على شفير القبر فبكى حتى بل الثرى.

ومن ذلك أيضا أن أبا بكر بكى وقبل النبي ﷺ عند موته. البخاري

تـــ(١٤٤) صـــ(٣٤)

حفلات تحفيظ القرآن هل هي من السنة وعمل سلف الأمة

أضيف بتاريخ : الجمعة، ٠٨ اغسطس ٢٠١٤ على:
http://saleh-alshamrani.com/article/188

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على رسوله وعبده وبعد

- فإن جمعيات تحفيظ القرآن وحلقاته من مفاخر هذه البلاد المباركة ومن حذا حذوها لكن لا يمنع ذلك أن نقول لإخواننا فيها شيئا ندين الله به .. وقد كتبت في ذلك تغريدات:

- مدار هذه التغريدات الدعوة إلى الإخلاص، فإن تعلم القرآن وتعليمه من أعظم القربات، وكلام الله أعلى من أن يزاحم بأعراض دنيوية.. وما دعا أحد إلى الإخلاص وخاف الرياء إلا هدي إلى صراط مستقيم. ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾.

- ولذا وددت أن يعاد النظر في حفلات حفظة القرآن ماديا.. وأن يصان كتاب الله عن هذه الأغراض الأرضية، ويكتفى بإجازتهم والدعاء لهم.. فلم يحفظ في السنة شئ غير ذلك.

- هؤلاء حفاظ الصحابة لم يحفظ أنه ﷺ كرمهم بشئ سوى الإجازة والدعاء فقال:
(اقرأوكم أبي)
(خذوا القرآن عن أربعة)
(اللَّهُمَّ فقه في الدين وعلمه التأويل)
(لقد أوتيت مزمارا)

- حافظ القرآن إن كان حفظه لله فهو غني عن التكريم وسيبارك الله له وفيه ويوضع له القبول في الأرض .. وإن كان لغير الله فهو أهون من التكريم .

- لقد تدرجت حفلات التحفيظ من المساجد للفنادق (وتلي القرآن على شرف فلان) وسلطت عليها الأضواء والكميرات ودبجت فيها القصائد وضاهت حفلات المترفين.

- لا ينبغي تعليق القرآن على شرف فلان وفلان كائنا من كان، فالناس يشرفون بالقرآن ولا يشرف بهم: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَ﴾.

- ولو ترخصنا بإقامة حفلات التكريم لحفاظ القرآن لجاز إقامة حفلات مماثلة للذاكرين والصوام، بله المصلين في المساجد ولا قائل بذلك.

- هذا البذخ والتنافس في إقامة الاحتفالات لم يكن معهودا إلى وقت قريب، وهؤلاء علماء وحفاظ البلاد لم يحصل لهم شيء من ذلك وقد وضع لهم القبول وكان بهم النفع.

- ومن الأخطاء صرف أموال الأوقاف التي أوقفت على تعليم القرآن في استئجار الصالات والفنادق وإقامة الحفلات والولائم.

- أتفهم قول بعض الفضلاء أن حفلات التكريم تشجع على حفظ القرآن وهذا قد يكون لكن هناك أمران:

الأول: أنه ﷺ لم يفعله ولو كان خيرا لسبقونا إليه مع قيام المقتضى والإمكان.

الثاني: لا خير في حفظ يبعثه التكريم وتحصيل السمعة والدنيا .

- ما روي عن عمر وغيره أنه نحر جزورا عندما ختم البقرة ليس من قبيل الاحتفال بل هو صدقة وطاعة وشكر لله على فضله.

- خير الهدي هدي رسول الله ﷺ ومن ادعى أن مثل هذا كان من هديه لزمه الدليل، وحينما رجعنا إلى هديه لم نره ﷺ يعد الناس بشيء إلا الجنة :

(من يحفر بئر رومة وله الجنة)

(من يجهز جيش العسرة وله الجنة)

- وأما في ميدان القرآن فكان يستخدم محفز الثواب والدار الآخرة:

(سورة ثلاثون آية حاجت عن صاحبها في القبر)

(البقرة وآل عمران تأتيان كأنهما غمامتان تظلان صاحبها)

(يقال لقارئ القرآن يوم القيامة : اقرأ وارق ورتل)..

- ثم إن السنة قد حفظت لنا نصوصا توجب على أهل القرآن الوقوف عندها مليا.. نعم سيجد له المتأول مخارج ولكن ما على من راقب نيته وإخلاصه لله من جناح:

- ففي الحديث قال ﷺ: (اقرأوا القرآن من قبل أن يقرأه أقوام يقيمونه كما يقوم السهم يتعجل أجره ولا يتأجله) رواه أبوداود وقال الألباني : حسن صحيح.

- وعند أبي داود وصححه الألباني أيضا أن عبادة بن الصامت علم رجلا القرآن فأهدى له قوسا فقال له النبي ﷺ: (إن سرك أن تطوق بها طوقا من نار فاقبلها).

- وأما قوله ﷺ: (إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ):

فقيل في معناه : أجرا أي ثوابا من عند الله

وقيل هو منسوخ بأحاديث الوعيد المتقدمة

أو يكون فيه رخصة للمعلم الذي انقطع لتعليم القرآن لتفرغه لا لتلاوته وتعلمه، وعليه فلا يصلح أن يكون أصلا يعتمد عليه في التكسب بكتاب الله.

- وعند مسلم حديث يقلق المخلصين وهو خبر أول ثلاثة تسعر بهم النار وأولهم قارئ قرأ ليقال قارئ .. وقد قيل... اذهبوا به إلى النار .

- وليتنا نعود إلى تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾.

- وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب مورد عذب لمن أراد تحقيق التوحيد وأخص شئ منه بما نحن فيه: باب ما جاء في الرياء، وباب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

اللّٰهُمَّ وفقهم وانفع بهم.

١٤٣٤/٧/١٠هـ

ملاحظة:

بهذه المناسبة فقد كنت اقترحت تحويل جمعيات تحفيظ القرآن إلى جمعيات تعليم القرآن ووراء المسمى من الأهداف ما لا يخفى على أهل الشأن أتمنى يصل.

تــ(١٥٣) صــ(٣٧)

قراءة الهذرمة

أضيف بتاريخ: الأحد، ١٢ يونيو ٢٠١٦ على:
http://saleh-alshamrani.com/article/645

الحمد لله حمدا يملأ أركان عرشه، وحمدا أستزيد به من واسع فضله، وأصلي وأسلم على أفضل أنبيائه وأشرف خلقه وبعد

فإن بعض إخواني من الوعاظ وطلاب العلم يتداولون في بدايات رمضان عن الشافعي –رحمه الله- أنه كان يختم القرآن فيه ستين ختمة، ذكرها الخطيب في تاريخه، وكذا المزي في تهذيب الكمال والذهبي وغيرهم، وهي مشهورة في كتب التراجم عنه، ويوردون أيضا ما رواه البيهقي وغيره عن عثمان -رضي الله عنه- أنه ختمه في ركعة، وكذا روي عن تميم الداري رضي الله عنه، ويُنقل عن سعيد بن جبير –رحمه الله.

ونقل ذلك النووي في التبيان عن جماعة من المتقدمين، بل ذكر في كتاب الأذكار وفي شرح مسلم عن بعض العبّاد أن له أربع ختمات بالليل ومثلها بالنهار.

وحيث إن تقريع الناس بذلك وحملهم عليه فيه مشقة بالغة قد تأتي على بعضهم بالإحباط، فضلا عن أن بعض ما ذكر لا يمكن أن يسعه الوقت والجهد، وما أمكن منه لا يمكن أن يكون إلا بعجلة وهذرمة مباينة للصواب كما سيأتي. ولذا كانت هذه الورقة:

فإن من المقرر أن هذا الأمر عبادة ومن شرط كل عبادة مع الإخلاص أن تكون صوابا على هدي رسول الله ﷺ، ولذا وجب ردها إلى الكتاب والسنة كما أمر ربنا سبحانه بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.

وعند ردها إلى الأدلة والنظر تبين فيما يظهر لي -والله أعلم- أنها على خلاف السنة والدليل من عشرين وجها:

١/ أولا لقوله تعالى:

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦]

على مكث أي على ترسلٍ وتمهلٍ وترتيل، فهو أدعى للانتفاع والتدبر واستدعاء العمل بالمتلو، ومن أراد أن يختم بهذا العدد لابد أن يهذّه هذّاً، وإلا لم يتمكن، فإن الوقت لا يسعف لمثل ذلك.

٢/ ولقوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان ٣٢]

وفرق بين الترتيل والهذّ، وإن كانت الآية في أصل التنزيل إلا إنه كما كان كذلك فيه فكذلك هو في التلاوة والتدبر، يدل عليه الأمر في قوله سبحانه:

٣/ ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤] أي لا تعجل بقراءة القرآن، بل اقرأه في مَهَلٍ وبيانٍ مع تدبر المعاني، وقال الضحاك : اقرأه حرفا حرفا.

قال القرطبي: والترتيل: التنضيد والتنسيق وحسن النظام.

٤/ ولأن الله تعالى أرشدنا إلى إحسان العمل كما في قوله سبحانه:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]،

وقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[الكهف: ٣٠]

فالعبرة مع الإكثار من العمل الصالح إنما هي بحُسنه ، ولا شك أن من رتل على هدي رسول ﷺ كان أحسن عملا. قال العلماء: أحسن العمل: أخلصه وأصوبه.

وأصوبه ما كان على هديه صلى الله عليه وسلم وقد كان يمد قراءته مدا ويرجع فيها، فإن :

٥/ البخاري روى عن قتادة قال : (سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقال: كان يمد مدا).

٦/ وأصرح منه ما رواه البخاري أيضا عن عبد الله بن مغفل قال: (رأيت النبي ﷺ يقرأ وهو على ناقته أو جمله وهي تسير به وهو يقرأ سورة الفتح أو من سورة الفتح قراءة لينة يقرأ وهو يرجع)، فوصف قراءته بوصفين ينافيان قراءة أهل السرد والهذرمة وهما:

- وصفها بكونها لينة يترسل ويشبع الحروف
- ووصف قراءته أيضا بالترجيع وهو تحسين الصوت بالتلاوة.

٧/ وهي خلاف السنة أيضا لأن النبي ﷺ قال كما في حديث ابن الشخير:
(لا يفقهه من يقرؤه في أقل من ثلاث) رواه أبو داد وغيره، وهو عمدة الظاهرية في قولهم بتحريم قراءته في أقل من ثلاث كما سيأتي.
وأما قول بعضهم إن المنفي في الحديث هو الفقه والفهم وليس ثواب القراءة، وعليه فلا يلزم من عدم فهمه في أقل من ثلاث تحريم قراءته في أقل منه فغير وجيه لأمرين:

- أولهما: أنه يرد على من قال بالتحريم.. ولمن قال بعدم التحريم أن يقول: لا يلزم منه حصول الثواب بمثل هذه القراءة؛ لأن مخالفة السنة قد تحول دون ذلك.
- ثانيهما: أن المقصود الأعظم من التلاوة حصول الفهم والتدبر والتأثر ليس للقلب فحسب بل حتى للجوارح والجلود، قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾، ومن صفات الذين أنعم الله عليهم: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩﴾، وقال تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ

لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾. وأولو الألباب هنا هم الذين يتحقق لهم الفقه الذي أشار إليه النبي ﷺ في الحديث.

٨/ ومما يدل أيضا على أن قراءة القرآن على هذا الوجه مخالف للسنة ما رواه الشيخان عن عبدالله بن عمرو أن النبي ﷺ قال له:

(اقرأ القرآن في كل شهر ، قال: قلت: إني أجد قوة. قال: فاقرأه في عشرين ليلة ، قال: قلت: إني أجد قوة. قال: فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك).

وقد ترجم له البخاري في كتاب فضائل القرآن بقوله: بابٌ في كم يقرأ القرآن، وقول الله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ [المزمل:٢٠]

قال النووي: والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص ... من غير خروج إلى الملل ولا يقرؤه هذرمة.

٩/ ومن ذلك أيضا ما في الصحيحين أيضا عن أبي وائل قال: (جاء رجل من بني بجيلة، يقال له نهيك بن سنان، إلى عبد الله. فقال: إني أقرأ المفصل في ركعة. فقال عبد الله: هذّاً كهذِّ الشعر؟ لقد علمت النظائر التي كان رسول ﷺ يقرأ بهن. سورتين في ركعة).

قال النووي: في معنى الهذّ: هو شدة الإسراع والإفراط في العجلة، ففيه النهي عن الهذِّ والحث على الترتيل والتدبر وبه قال جمهور العلماء. قال القاضي: وأباحت طائفة قليلة الهذَّ.

وقال الحافظ في فوائده: فيه كراهة الإفراط في سرعة التلاوة؛ لأنه ينافي المطلوب من التدبر والتفكر في معاني القرآن.

فإن قيل: إن الحافظ بن حجر قال ثمَّ: ولا خلاف في جواز السرد دون تدبر لكن القراءة بالتدبر أعظم أجرا.

فالجواب: أن المقصود بالسرد الحدر الذي لا يصل إلى حد الهذرمة التي أشار إليها النووي، وهو السرد الذي يفضي به إلى أن يختم في نحو ثلاث، وأما ما زاد على ذلك فمنهم من حرمه كما سيأتي.

١٠/ ومما يدل على عدم مشروعية ذلك أيضا ما في البخاري من حديث أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ : (ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن) وزاد غيره: يجهر به .

والتغني: ترتيله وتحسين الصوت به، ولا يتأتى هذا مع السرد والهذرمة، وقوله : (ليس منا) أي: ليس على هدينا وطريقتنا.

١١/ ومما يدل أيضا على مخالفة ذلك للسنة أنه عجلة في عبادةٍ الحق فيها الطمأنينة والخشوع، كما قال ﷺ للمسيء في صلاته: (ارجع فصل فإنك لم تصل) متفق عليه،

والاستدلال به من وجهين:

الأول: أن هذا المسيء قطعا قد عجل فيما قرأ.

الثاني: أنه فوت المقصود الأعظم من الصلاة وهو روحها ولبها ألا وهو الخشوع وحضور القلب، فنفى عنه النبي ﷺ أن يكون مصليا والحال كذلك، فكذلك هنا لا يمكن أن يكون من يهذُّ القرآن قارئا للقرآن على الوجه المرضي.

١٢/ ويمكن أن يُستدل على المنع بقوله ﷺ: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) رواه مسلم، وأمره صلى الله عليه وسلم ظاهر هنا، فقد أمر ابن عمرو أن يختمه كل سبع ولا يزيد على ذلك أي في الإنقاص عن السبع، وأخبر أن من ختمه في أقل من ثلاث لا يفقهه كما تقدم.

١٣/ ثم إن قلة العبادة مع موافقتها للسنة أولى وأوجب من كثرتها مع المخالفة، يدل عليه حديث أنس في خبر الثلاثة الذين تقالوا عبادة النبي ﷺ فقال: (لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني) متفق عليه.

فإن قيل: إن النبي ﷺ كان كما في الصحيح: (إذا دخلت العشر أحيا ليلة وشد مئزره) فيقال: هذا صحيح، لكنه يحيه بقراءةٍ وصلاةٍ وذكر، ولم يرو عنه لا من طريق صحيح ولا غيره أنه ختم القرآن في ليلة أو حتى ثلاث.

١٤/ بل إن الثابت في الصحيحين وغيرهما عن ابن عباس عنه ﷺ أن جبريل كان يلقاه في رمضان فيدارسه القرآن، والمدارسة مشاكلة ومفاعلة وفيها قدر زائد على مجرد التلاوة، لا يمكن أن تكون مع الهذرمة .

١٥/ وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن جبريل كان يعارضه القرآن مرة مرة كل عام ثم عرض عليه مرتين فقط في العام الذي قبض فيه.
وهذا العرض يكون في رمضان كل عام كما يدل عليه حديث ابن عباس المتقدم.

١٦/ عند ابن حبان وغيره عن ابن مسعود أن أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما بشراه أن رسول الله ﷺ قال: (من سره أن يقرا القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد).
والاستدلال به على أن القراءة العجلى خلاف السنة من وجهين:
الأول: وصفه بالغض، وفي رواية: (غضا طريا).
والثاني أنه قال: كما أنزل ، وهذا يشمل الحرف وغيره، فمن المعلوم أنه أنزل مرتلا منجما شيئا فشيئا كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥ﴾، وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ﴾.

١٧/ وهذه القراءة المزينة هي التي كان يقرأ بها رسول الله ﷺ كما تقدم، وهي التي عرف الصحابة أنها هي التي يحب أيضا سماعها كما في حديث أبي موسى حينما استمع له ﷺ ثم قال له: (لو رأيتني وأنا استمع لقراءتك البارحة لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود) متفق عليه وهذا لفظ مسلم.. وفي غير الصحيحين قالأبو موسى: (لو كنت أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرا).

١٨/ ولأن التلاوة إذا لم تحرك القلب ولم يصحبها تدبر وتحكيم وعمل من صفات الخوارج كما دل عليه حديث أبي سعيد وغيره في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ وصفهم بقوله: (يقرؤون القرآن لا يجاوز حلوقهم، أو حناجرهم).. ولا يلزم من هذا أن من هذّ القرآن كان

خارجيا لكننا مأمورون باجتناب طرائقهم، ومنها الاكتفاء بقراءة القرآن دون تدبر وتحكيم وعمل، وهذا ما فهمه ابن مسعود رضي الله عنه فقد شبّه حال أولئك بحال الخوارج، فقد جاء في رواية لحديث أبي وائل السابق أنه حينما قال له الرجل إنه يقرأ المفصل في ركعة فقال: (هذّا كهذِّ الشعر، إن أقواما يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم) .

قال شيخ الإسلام: هؤلاء غلوا في العبادة بلا فقه فآل الأمر بهم إلى البدعة.

وقال أبي بن كعب وغيره: (اقتصاد في سنة، خير من اجتهاد في بدعة).

وقال شيخ الإسلام أيضا: (فإن قراءة القرآن على الوجه المأمور به تورث القلب الإيمان العظيم، وتزيده يقينا وطمأنينة وشفاء، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٩/ ومما يقوي أن قراءة السرد والعجلة ليست هي المشروعة أن عمل الصحابة على خلافها، فالمشهور والثابت بالأسانيد الصحيحة عنهم أنهم كانوا يقرأونه في كل سبع، وذكر النووي في الأذكار أن أكثر السلف على هذا فيقرأون:

في اليوم الأول ثلاثاً

ثم خمسا

ثم سبعا

ثم تسع سُوَر

ثم إحدى عشرة

ثم ثلاث عشرة

ثم المفصل:

فالثلاث: البقرة وآل عمران والنساء،

والخمس: المائدة والأنعام والأعراف والأنفال والتوبة، وهكذا... ثم المفصل من ق.

وبعضهم يختصرها في قولهم:

"فمي بشوق"

الفاء الفاتحة

والميم المائدة

والياء يونس

والباء الإسراء (بني إسرائيل)

والشين الشعراء

والواو الصافات

والقاف ق

وقد نظمها بعضهم في بيت فقال:

بكر عقود يونس سبحانا ... وظلة يقطين قاف بانا

فالبكر: الفاتحة

والعقود: المائدة

ثم يونس

وسبحان: الإسراء

وظلة: الشعراء لقوله فيها: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِ﴾

ويقطين: الصافات لقوله تعالى فيها: ﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾

ثم قاف

٢٠/ ولأن قراءة الهذرمة أقرب إلى العبث منه إلى العبادة:

قال ابن حزم في الرسالة الباهرة :

(وحكوا أيضا عن ابن القاسم أنه كان يختم القرآن مئتي مرة في الشهر.. وهذه طامة من فضائح الكذب المشبع، ومثل هذا أميل إلى الاستهزاء بالقرآن، هذا لو أمكن، ثم هو بعدُ معصية لله تعالى؛ لأنه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يقرأ القرآن في أقل من ثلاث ليال، ولم

يختلف عن هذا أحد من الصحابة رضي الله عنهم في دون ذلك إلا في مرة واحدة في الليلة فقط، ثم بعد هذا كله فهو محال وكذب). انتهى

ونقل الذهبي في ترجمة وكيع ما روي عن يحي بن أكثم يقول: صحبت وكيعا في الحضر والسفر وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة..

ثم قال-أعني الذهبي:-

هذه عبادة يخضع لها ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة؛ فقد صح نهيه ﷺ عن صوم الدهر؛ وصح أنه نهى أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، والدين يسر، ومتابعة السنة أولى، فرضي الله عن وكيع وأين مثل وكيع ؟.

٢١/ وأما تحديد مدة ختم القرآن فلها أربعة أحوال:

الأول: أن يختم في أكثر من سبع ليال، وهذا لا خلاف في جوازه ومشروعيته، وتزيد هذه المدة بزيادة الغفلة.

الثاني: أن يختمه في كل سبع ليال، وهذا هو أفضلها وعليه عمل الصحابة وأكثر الأئمة كما تقدم؛ لظاهر حديث عبدالله بن عمرو وقوله ﷺ له: (فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك).

الثالث: أن يختمه في ثلاث وهذا مشروع أيضا ولا خلاف فيه.

الرابع: أن يختمه في أقل من ثلاث:

فالجمهور على الجواز مع الكراهة

وقال الظاهرية: يحرم، وتقدم النقل عن ابن حزم أنه معصية، وقال الحافظ: (وأغرب بعض الظاهرية فقال: يحرم أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث).

فإن قيل: كيف يمكن أن يقال بكراهية قراءة القرآن على هذا الوجه وهي عبادة؟ فالجواب من وجهين:

الأول: أن يقال هي عبادة لكنها ليست على أمر رسول الله ﷺ، وقد قال كما في الصحيح: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)، وقد صح عنه ﷺ النهي عن قراءته في أقل من سبع كما

في حديث عبدالله بن عمرو ثم رخص إلى ثلاث على ظاهر حديث ابن الشخير وما كان على خلاف ذلك فهو رد .

الثاني: أن يقال الصلاة أعظم من تلاوة القرآن ولا يجوز لأحد أن ينقرها نقرا ويحتج على الجواز بأنها عبادة، بل سيحتج بقوله ﷺ: (صلوا كما رأيتموني أصلي) فكذلك يقال هنا: نقرأ كما قرأ وأمر لا نتجاوز ذلك، والله أعلم.

فإن قيل: قد حث النبي ﷺ على كثرة قراءة القرآن، فقال كما في حديث ابن مسعود عند الترمذي: (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول آلم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف).

فيقال: نعم لكن المقصود أن يقرأ على وفق الوارد، كما إنه ﷺ قد حث على كثرة الصلاة وقال: (خير أعمالكم الصلاة)، وحث على الإكثار من الذكر والعمرة والصيام وغير ذلك من الأعمال الصالحة ولا يمكن الاستكثار منها إلا أن يؤتى بها وفق هديه ﷺ وإلا لم تكن مشروعة فكذلك الشأن هنا.

بقي الجواب عما نقل عن السلف فالجواب عنه من وجوه:

الأول: أن في ثبوت ذلك عنهم بحث ونظر، وأظن أننا لو طبقنا القواعد الحديثية على تلك الآثار ما صحت، أو تصح في حال عارضة لم تكن لهم هديا عاما كالمروي عن عثمان رضي الله عنه، فقد روي عنه أنه كان يختم كل أسبوع كقول العامة، روي عنه وعن ابن مسعود بأسانيد صحيحة كما قال الحافظ ابن حجر.

الثاني: ويحتمل أنهم فعلوا ذلك عرضا، ولم يكن هديا ثابتا لهم، وقد روي كما في أحكام القرآن له أن الشافعي فعل ذلك حينما سئل عن حجية الإجماع فختم في كل يوم وليلة ثلاث ختمات حتى وقف على قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾.

الثالث: أن أقوالهم وأفعالهم يحتج لها لا بها، فليس هناك أحد قوله وفعله حجة على الإطلاق إلا رسول الله ﷺ.

الرابع: أن المقرر في الأصول أن السنة القولية مقدمة على الفعلية عند تعذر الجمع فكيف لا يقدم قوله ﷺ على فعل غيره.

الخامس: يعتذر لهم أن النهي لم يبلغهم، أو بلغهم وتأولوه على غير وجهه الراجح، والله تعالى أعلم.

تـ(١٥٤ و ٥٣٨) صـ(٣٧ و ١٤٩)

دعاء ختم القرآن في الصلاة أقرب إلى البدعة

أضيف بتاريخ : الجمعة، ٠٨ اغسطس ٢٠١٤على:
http://www.saleh-alshamrani.com/article/182

١- لأن النبي ﷺ لم يفعله ولم يرو عنه في حديث صحيح ولا حسن ولا ضعيف.

٢- ولأن النبي ﷺ كان يختم القرآن كثيرا، وقد دارسه جبريل القرآن في كل رمضان ولم يُذكر مع هذه المدارسة دعاء عند الختم.

٣- ولأن الخلفاء الراشدين وجميع الصحابة رضي الله عنهم لم يفعلوه.

٤- ولأنهم أجمعوا على أن العبادات مبناها على التوقيف.

٥- ولأن النبي ﷺ قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، وهو أولى بالإتباع من غيره كائنا من كان.

٦- ولأن طائفة من الأئمة أنكروه كمالك وأبي بكر الطرطوشي في البدع والحوادث، وأبي شامة في الباعث في إنكار البدع والحوادث وغيرهم، ومن المعاصرين أنكره الشيخ بكر أبو زيد وابن عثيمين، وحسبك بقول الإمام مالك رحمه الله: (ما سمعتُ أنه يدعو عند ختم القرآن وما هو من عمل الناس) المعيار المعرب [١١ / ١١٤]

٧- ولأن ما روي عن أنس كان خارج الصلاة، ولا يصح قياس أحدهما على الآخر، فالصلاة عبادة توقيفية أمرنا فيها ﷺ بقوله: (صلوا كما رأيتموني أصلي)، وهو لم يفعل هذا في صلاته وقد قال ربنا: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾.

٨- ولأن سبب هذا الفعل ومقتضاه وعدم المانع منه كانت قائمة في عهد الرسول ﷺ وأصحابه ومع ذلك لم يفعلوه.

٩- ولأن غاية ما استند إليه مجيزوه هو فعل بعض السلف كسفيان بن عيينة وعليه استند الإمام أحمد ولو علم له أصلا غير ذلك لذكره، وفعل سفيان وحده يفتقر إلى دليل، ثم إن ما رخصوا فيه شيء وما آل له الأمر اليوم شيء آخر، لا يظن بهم أنهم يرضونه.

١٠- ولأنه ذكر مخصوص في موضع مخصوص وهو الصلاة لسبب مخصوص وهو ختم القرآن وهذا التخصيص بدعة لعدم وروده في السنة.

١١- ولأنه لا عبرة بسكوت وإقرار بعض العلماء بل العبرة بالسنة وبمن اتبعها لا بمن خالفها كائناً من كان.

١٢- ولأن من احتج بفعل بعض السلف كسفيان وأحمد احتججنا عليه بإنكار بعضهم كمالك وغيره بل احتججنا عليه بهدي النبي ﷺ وأصحابه.

١٣- ولو كان مجرد الرواية عن بعض السلف دليلا على مشروعية الفعل لجوزنا صلاة الرغائب والتسابيح وليلة النصف من شعبان والقنوت في صلاة الفجر وغير ذلك مما روي عن بعض العلماء الترخيص فيه بلا دليل.

١٤- ولأن الإمام أحمد نفسه هو الذي قال: (عجبت لمن عرف الإسناد وصحته يذهبون إلى قول سفيان ، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾).

١٥- ولأنه قد احتف بهذه الختمة بدعا إضافية: كاعتقاد السنية والصراخ في الدعاء وتحوله من دعاء إلى دعوة وتوجيه وإظهار ولاءات سياسية وحزبية وترجيعات وتطريب يقطع سامعها أنها ليست من السنة.

١٦- ولأن الدعاء ليس من الشعائر الظاهرة، بل الأصل فيه الإنفراد والتضرع والخفية كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾، فاجتماع الناس له على هذه الهيئة لم يعهد من النبي ﷺ ، بل لم يحفظ عنه الدعاء في جمع إلا في مثل الاستسقاء، أو دعاء يسير في قنوت النازلة.

١٧- وللعلامة بكر أبو زيد: (مرويات دعاء ختم القرآن)، قال في مقدمته: (وقد عُهد من مدارك الشرع أن أمور العباد التعبدية توقيفية لا تشرع إلا بنص نصبه الله على حكمه مسلّم الثبوت والدلالة لضمان الاتباع عن الابتداع ودرء الغلط والحدث).

١٨- ونقد رحمه الله -أعني الشيخ بكر- مرويات هذا الدعاء وخلص إلى أنها ضعيفة كلها غير ما روي عن أنس رضي الله عنه، ولا يمكن الاحتجاج بفعل أنس رضي الله عنه لأنه كان خارج الصلاة كما هو ظاهر .

١٩- وقال: وأن الفعل غير المشروع يُنَبَّهُ عليه وإن كثر فاعلوه، كما حرره العلماء، ومنهم العلاّمة ابن مفلح الحنبلي.

٢٠- وقال الألباني: "دعاء ختم القرآن" والذي ينسب لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى؛ فهو مما لا نعلم له أصلاً عن ابن تيمية أو غيره من علماء الإسلام، وما كنت أحب أن يلحق بآخر المصحف.

٢١- وقال ابن عثيمين: لا أعلم لدعاء ختم القرآن في الصلاة أصلاً صحيحاً يعتمد عليه من سنة الرسول ﷺ، ولا من عمل الصحابة رضي الله عنهم.

٢٢- ويمكن الخروج من الخلاف بجعل الختمة في الوتر والدعاء بدعاء يسير بإخبات وتضرع يناسب الحال دون تطويل وتعد وخروج بالدعاء عن سنته، والله من وراء القصد.

اللّٰهُمَّ بلغت.

تـ(٤١٧) صـ(١١٠)

رسالة تحكيم القوانين للشيخ محمد بن إبراهيم

من موقع طريق الإسلام

http://iswy.co/e48ia

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى في رسالته "تحكيم القوانين":

"إنّ من الكفر الأكبر المستبين، تنزيل القانون اللعين، منزلة ما نزل به الروح الأمين، على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون من المنذرين، بلسان عربي مبين، في الحكم به بين العالمين، والرّدّ إليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء:٥٩]. وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عمن لم يُحكّموا النبي ﷺ، فيما شجر بينهم، نفيا مؤكدا بتكرار أداة النفي وبالقسم، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء:٦٥]. ولم يكتف تعالى وتقدس منهم بمجرد التحكيم للرسول ﷺ، حتى يضيفوا إلى ذلك عدم وجود شيء من الحرج في نفوسهم، بقوله جل شأنه: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ﴾ والحرج: الضيق. بل لا بدّ من اتساع صدورهم لذلك وسلامتها من القلق والاضطراب.

ولم يكتف تعالى أيضا هنا بهذين الأمرين، حتى يضموا إليهما التسليم: وهو كمال الانقياد لحكمه ﷺ، بحيث يتخلّون هاهنا من أي تعلق للنفس بهذا الشيء، ويسلموا ذلك إلى الحكم الحق أتمّ تسليم، ولهذا أكّد ذلك بالمصدر المؤكّد، وهو قوله جلّ شأنه: ﴿تَسۡلِيمٗا﴾ المبيّن أنه لا

يُكتفى هاهنا بالتسليم.. بل لا بدّ من التسليم المطلق وتأمل ما في الآية الأولى، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾. كيف ذكر النّكِرة، وهي قوله: ﴿شَيۡءٖ﴾ في سياق الشرط، وهو قوله جلّ شأنه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾ المفيد العمومَ فيما يُتصوّر التنازع فيه جنسا وقدرًا.

ثم تأمل كيف جعل ذلك شرطا في حصول الإيمان بالله واليوم الآخر، بقوله: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾، ثم قال جل شأنه: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ .. فشيء يُطلقِ الله عليه أنه خير، لا يتطرّق إليه شرّ أبدا، بل هو خير محض عاجلا وآجلاً ثم قال: ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ أي: عاقبةً في الدنيا والآخرة، فيفيد أنّ الردَّ إلى غير الرسول ﷺ عند التنازع شرٌّ محضٌ، وأسوأ عاقبة في الدنيا والآخرة. عكس ما يقوله المنافقون: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا﴾ [النساء:٦٢]. وقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [البقرة:١١].

ولهذا ردّ الله عليهم قائلا: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [البقرة:١٢]. وعكس ما عليه القانونيون من حكمهم على القانون بحاجة العالم (بل ضرورتهم) إلى التحاكم إليه، وهذا سوء ظن صِرْفٍ بما جاء به الرسول ﷺ، ومحضُ استنقاص لبيان الله ورسوله، والحكم عليه بعدم الكفاية للناس عند التنازع، وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة إن هذا لازمٌ لهم.

وتأمّل أيضا ما في الآية الثانية من العموم، وذلك في قوله تعالى: ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ ، فإنّ اسم الموصول مع صِلته مع صيغ العموم عند الأصوليين وغيرهم، وذلك العمومُ والشمولُ هو من ناحية الأجناس والأنواع، كما أنه من ناحية القدْر، فلا فرقَ هنا بين نوع ونوع، كما أنّه لا فرق بين القليل والكثير، وقد نفى الله الإيمانَ عن مَن أراد التحاكم إلى غير ما جاء به الرسول ﷺ، من المنافقين، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ

أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠] فإنّ قوله عز وجل: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ تكذيب لهم فيما ادّعوه من الإيمان، فإنه لا يجتمع التحاكم إلى غير ما جاء به النبي ﷺ مع الإيمان في قلب عبدٍ أصلاً، بل أحدهما ينافي الآخر، والطاغوت مشتق من الطغيان، وهو: مجاوزة الحدّ فكلُّ مَن حَكَمَ بغير ما جاء به الرسول ﷺ، أو حاكَمَ إلى غير ما جاء به النبي ﷺ، فقد حَكَمَ بالطاغوت وحاكم إليه وذلك أنّه مِن حقّ كل أحدٍ أن يكون حاكمًا بما جاء به النبي ﷺ، فقط، لا بخلافه. كما أنّ من حقّ كل أحدٍ أن يُحاكِمَ إلى ما جاء به النبي ﷺ.. فمَن حَكَمَ بخلافه أو حاكم إلى خلافه فقد طغى، وجاوز حدّه، حُكْمًا أو تحكيما، فصار بذلك طاغوتا لتجاوزه حده.

وتأمل قوله عز وجل: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ ، تعرف منه معاندة القانونيين، وإرادتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد، فالمراد منهم شرعًا والذي تعبّدوا به هو: الكفر بالطاغوت لا تحكيمه.. ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة:٥٩] ثم تأمل قوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ﴾ كيف دلَّ على أنّ ذلك ضلالٌ، وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدى، كما دلّت الآية على أنّه من إرادة الشيطان، عكس ما يتصور القانونيون من بُعدهم من الشيطان، وأنّ فيه مصلحة الإنسان، فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هي صلاح الإنسان، ومراد الرحمن وما بُعث به سيدُ ولد عدنان معزولا من هذا الوصف، ومُنحىً عن هذا الشأن وقد قال تعالى منكرا على هذا الضرب من الناس، ومقررا ابتغاءهم أحكام الجاهلية، وموضحا أنه لا حُكم أحسن من حُكمه: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]

فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلّت على أنّ قِسمة الحكم ثنائية، وأنّه ليس بعد حكم الله تعالى إلاّ حُكم الجاهلية، شاءوا أمْ أبوا، بل هم أسوأ منهم حالاً، وأكذب منهم مقالاً، ذلك أنّ

أهل الجاهلية لا تناقُضَ لديهم حول هذا الصدد وأما القانونيون فمتناقضون، حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول ﷺ، ويناقضون ويريدون أنْ يتّخذوا بين ذلك سبيلاً، وقد قال الله تعالى في أمثال هؤلاء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٥١]، ثم انظر كيف ردّت هذه الآية الكريمة على القانونيين ما زعموه من حُسن زبالة أذهانهم، ونحاتة أفكارهم، بقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: (ينكر اللهُ على من خرج من حكم الله المُحْكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شرّ، وعَدَلَ إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتارُ من السياسات الملكية المأخوذة عن مَلِكهم "جنكيز خان" الذي وضع لهم كتابًا مجموعًا من أحكامٍ قد اقتبسها من شرائع شتى، من اليهودية، والنصرانية، والملة الإسلامية، وغيرها وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بَنيهِ شرعا مُتّبعا يقدّمونها على الحكم بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، فمن فعل ذلك فهو كافرٌ يجب قتاله حتى يرجعَ إلى حكم الله ورسوله، فلا يُحكّم سواه في قليل ولا كثير. قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾، أي: يبتغون ويريدون، وعن حكم الله يعدلون ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، أي: ومن أعدل من الله في حكمه، لِمَن عَقَل عن الله شرعه وآمن به وأيقن، وعلِم أنّ الله أحكمُ الحاكمين، وأرحمُ بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء، القادر على كل شيء، العادل في كل شيء). (انتهى قول الحافظ ابن كثير).

وقد قال عزّ شأنه قبل ذلك مخاطبا نبيه محمدًا ﷺ: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ..﴾ [المائدة:٤٩]، وقال تعالى مخبِرا

نبيه محمدا ﷺ، بين الحُكم بين اليهود والإعراض عنهم إنْ جاءُوه لذلك: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢]، والقسط هو :العدل ولا عدل حقا إلاّ حُكم الله ورسوله، والحكم بخلافه هو الجور، والظلم، والضلال، والكفر، والفسوق، ولهذا قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٤٧].

فانظر كيف سجّل تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل اللهُ الكفرَ والظلمَ والفسوقَ، ومِن الممتنع أنْ يُسمِّي اللهُ سبحانه الحاكمَ بغير ما أنزل اللهُ كافرًا ولا يكون كافرًا، بل كافرٌ مطلقًا، إمّا كفر عمل وإما كفر اعتقاد، وما جاء عن ابن عباس ـرضي الله عنهماـ في تفسير هذه الآية من رواية طاووس وغيره يدلُّ أنّ الحاكم بغير ما أنزل اللهُ كافرٌ إمّا كفرُ اعتقادٍ ناقلٌ عن الملّة، وإمّا كفرُ عملٍ لا ينقلُ عن الملّة.

أمّا الأول: وهو كفر الاعتقاد فهو أنواع،

أحدها: أن يجحد الحاكمُ بغير ما أنزل الله أحقيّة حُكمِ الله ورسوله وهو معنى ما رُوي عن ابن عباس، واختاره ابن جرير أنّ ذلك هو جحودُ ما أنزل اللهُ من الحُكم الشرعي، وهذا ما لا نزاع فيه بين أهل العلم، فإنّ الأصول المتقررة المتّفق عليها بينهم أنّ مَنْ جَحَدَ أصلاً من أصول الدين أو فرعًا مُجمعًا عليه، أو أنكر حرفًا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، قطعيًّا، فإنّه كافرًا الكفرَ الناقل عن الملّة.

الثاني: أنْ لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كونَ حُكم اللهِ ورسولِهِ حقًّا، لكن اعتقد أنّ حُكم غير الرسول ﷺ أحسنُ من حُكمه، وأتمّ وأشمل... لما يحتاجه الناسُ من الحُكم بينهم عند التنازع، إمّا مُطلقا أو بالنسبة إلى ما استجدّ من الحوادث، التي نشأت عن تطوّر الزمان وتغير الأحوال، وهذا أيضًا لا ريب أنه كافرٌ، لتفضيله أحكامَ المخلوقين التي هي محضُ زبالةِ الأذهان، وصرْفُ حُثالة الأفكار، على حُكم الحكيم الحميد وحُكمُ اللهِ ورسولِه لا يختلف في ذاته باختلاف الأزمان، وتطور الأحوال، وتجدّد الحوادث، فإنّه ما من قضية كائنة ما كانت إلاّ وحُكمها في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، ﷺ، نصًّا أو ظاهرًا أو استنباطًا أو غير ذلك، عَلِمَ ذلك مَن علمه، وجَهِلَه مَن جهله وليس معنى ما ذكره العلماء من تغيّر الفتوى بتغير الأحوال ما ظنّه مَن قلَّ نصيبُه أو عدم من معرفة مدارك الأحكام وعِلَلها، حيث ظنّوا أنّ معنى ذلك بحسب ما يُلائم إرادتهم الشهوانية البهيمية، وأغراضهم الدنيوية وتصوّراتهم الخاطئة ولهذا تجدُهم يحامون عليها، ويجعلون النصوص تابعة لها منقادة إليها، مهما أمكنهم فيحرفون لذلك الكَلِم عن مواضعه.

وحينئذٍ معنى تغيُّر الفتوى بتغير الأحوال والأزمان مراد العلماء منه: "ما كان مُستصحبه فيه الأصول الشرعية، والعلل المرعية، والمصالح التي جِنْسُها مرادٌ لله تعالى ورسوله ﷺ"، ومن المعلوم أنّ أرباب القوانين الوضعية عن ذلك بمعزل، وأنهم لا يقولون إلاّ على ما يلائم مراداتهم، كائنة ما كانت، والواقع أصدقُ شاهدٍ.

الثالث: أنْ لا يعتقد كونَه أحسن من حُكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنه مثله، فهذا كالنوعين الذين قبله، في كونه كافرًا الكفرَ الناقل عن الملّة، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق والمناقضة والمعاندة لقوله عزّ وجلّ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ..﴾ [الشورى:١١]. ونحوها من الآيات الكريمة، الدالّة على تفرُّدِ الربّ بالكمال، وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين، في الذات والصفات والأفعال والحُكم بين الناس فيما يتنازعون فيه.

الرابع: أنْ لا يعتقد كون حُكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلاً لحكم الله ورسوله، فضلاً عن أنْ يعتقدَ كونه أحسن منه، لكن اعتقد جواز الحُكم بما يخالف حُكم الله ورسوله، فهذا كالذي قبله يصدُقُ عليه ما يصدق عليه، لاعتقاده جوازَ ما علم بالنصوص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه.

الخامس: وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقّة لله ورسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية، إعدادا وإمدادا وإرصادا وتأصيلا، وتفريعا وتشكيلا وتنويعا، وحكما وإلزاما، ومراجع ومستندات. فكما أنّ للمحاكم الشرعية مراجعَ مستمدّات، مرجعها كلُّها إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلهذه المحاكم مراجعٌ، هي: القانون المُلفّق من شرائعَ شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.

فهذه المحاكم في كثير من أمصار الإسلام مهيّأة مكملة، مفتوحةُ الأبواب، والناس إليها أسرابٌ إثْر أسراب، يحكُمُ حُكّامُها بينهم بما يخالف حُكم السُنّة والكتاب، من أحكام ذلك القانون، وتُلزمهم به، وتُقِرُّهم عليه، وتُحتِّمُه عليهم.. فأيُّ كُفر فوق هذا الكفر، وأيُّ مناقضة للشهادة بأنّ محمدًا رسولُ اللهِ بعد هذه المناقضة.

وذِكْرُ أدلّة جميع ما قدّمنا على وجه البسْطِ معلومةٌ معروفة، لا يحتمل ذكرها في هذا الموضوع. فيا معشر العُقلاء، ويا جماعات الأذكياء وأولي النهى كيف ترضون أنْ تجري عليكم أحكامُ أمثالكم، وأفكارُ أشباهكم، أو مَن هم دونكم، مِمّن يجوز عليهم الخطأ، بل خطأهم أكثرُ من صوابهم بكثير، بل لا صواب في حُكمهم إلاّ ما هو مُستمدٌّ من حُكم اللهِ ورسولهِ، نصًّا أو استنباطًا، تَدّعونهم يحكمون في أنفسكم ودمائكم وأبشاركم، وأعراضكم وفي أهاليكم من أزواجكم وذراريكم، وفي أموالكم وسائر حقوقكم؟؟

ويتركون ويرفضون أن يحكموا فيكم بحُكم الله ورسوله، الذي لا يتطرّق إليه الخطأ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.. وخُضوع الناس ورضوخهم لحكم

ربِّهم خضوعٌ ورضوخٌ لِحُكم مَنْ خلقهم تعالى ليعبدوه فكما لا يسجدُ الخلقُ إلاّ للهِ، ولا يعبدونَ إلاّ إياه ولا يعبدون المخلوق، فكذلك يجب أن لا يرضخوا ولا يخضعوا أو ينقادوا إلاّ لحُكم الحكيم العليم الحميد، الرؤوف الرحيم، دون حُكم المخلوق، الظلوم الجهول، الذي أهلكته الشكوكُ والشهواتُ والشبهات، واستولت على قلوبهم الغفلة والقسوة والظلمات فيجب على العُقلاء أن يربئوا بنفوسهم عنه، لما فيه من الاستعباد لهم، والتحكم فيهم بالأهواء والأغراض، والأغلاط والأخطاء، فضلاً عن كونه كفرًا بنصِّ قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤].

السادس: ما يحكُم به كثيرٌ من رؤساء العشائر، والقبائل من البوادي ونحوهم، من حكايات آبائهم وأجدادهم، وعاداتهم التي يسمُّونها "سلومهم"، يتوارثون ذلك منهم، ويحكمون به ويحُضُّون على التحاكم إليه عند النزاع، بقاء على أحكام الجاهلية، وإعراضًا ورغبةً عن حُكم الله ورسوله، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

وأمّا القسم الثاني من قسمي كُفر الحاكم بما أنزل الله، وهو الذي لا يُخرجُ من الملة فقد تقدّم أنّ تفسير ابن عباس، رضي الله عنهما، لقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، قد شمل ذلك القسم، وذلك في قوله ـ رضي الله عنهـ في الآية: "كُفر دون كفر"، وقوله أيضًا: "ليس بالكفر الذي تذهبون إليه" وذلك أنْ تَحمِلَهُ شهوتُه وهواهُ على الحُكم في القضية بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده أنّ حُكم الله ورسوله هو الحقّ، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى وهذا وإنْ لم يُخرِجْه كُفْرُه عن الملّة، فإنه معصية عُظمى أكبرُ من الكبائر، كالزنا وشُرب الخمر، والسّرِقة واليمين الغموس، وغيرها فإنّ معصيةً سمّاها اللهُ في كتابه كفرًا، أعظمُ من معصية لم يُسمِّها كُفرًا نسأل الله أنْ يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه، انقيادا ورضاءً، إنّه وليُّ ذلك والقادر عليه.

تمّت الرسالة ولله الحمد.